كيف نحمي أبناءنا من الانحراف

تشكيل شخصية الطفل

السلوك العدواني عند الأطفال

أنواع الانحراف عند الأطفال

الضرب البليغ للجسم عند الأطفال



فراس الحبيس





كيف نحمي أبناءنا من الانحراف ؟

الطبعة الأولى

2005م - 1425هـ

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2004/6/1310)

362.7
الحبيس، فراس
كيف نحمي أبناءنا من الانحراف؟: اجتماعياً، نفسياً، تربوياً، سلوكياً /تأليف فراس علي الحبيس.- عمان: دار عالم الثقافة للنشر ، 2004
دار الأسرة، 2004
(80) ص
ر.إ.: 2004/6/1310

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر 2004/6/1270م
الواصفات: / الانحراف// المشاكل الاجتماعية// رعاية الطفولية // الأطفال /

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN ٩٩٥٧-٣٦-٠١٥-٩ (ردمك)

دار الأسرة للنشر والتوزيع

عمان – الأردن – الشميساني – تلفاكس 5677718 - 6- 00962

دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع

عمان – الأردن- العبدلي – تلفاكس 4613465 - 6 - 00962

ص.ب 927426 – الرمز البريدي 11190 عمان / الأردن

www.alamthqafa.com
E-mail: info@alamthqafa.com

كيف نحمي أبناءنا من الانحراف ؟

تأليف

فراس علي محمد الحبيس





الإهداء

أهدي هذا الكتاب إلى صاحب الفضل الكبير الذي غمرني بعلمه وخلقه العظيم، الذي كلما تعلمت منه ازددت رقياً..

الدكتور تيسير إلياس

أهديك جهدي هذا رمزا للمحبة والوفاء...

الشكر والتقدير

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذة إيفا أبو حلاوة التي شجعت على إنتاج هذا العمل.....

كما أتقدم إلى الأستاذ المهندس علي شويطر والدكتور وليد الشطرات والأستاذ محمد خلف اللاقي اللذين ساهما بإنتاج هذا العمل...

وأتقدم إلى الأستاذ الفاضل رضوان الحمدان الذي ساهم في المراجعة اللغوية.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يترك الآباء والأمهات في نظرهم إلى نمو أبنائهم زاوية مهمة يعتمد عليها نمو الطفل اعتماداً كبيراً بالإضافة إلى نظراتهم إلى النمو العقلي والنمو الجسمي ألا وهي شخصية الطفل. فهذا الجانب له ركيزة أساسية في حياتهم، لو لم يُهمل لساعد في زيادة ثقة الأطفال في أنفسهم وزيادة قدرتهم في التعبير عن ذاتهم، وقدرتهم على التواصل وتنظيم العلاقات مع الآخرين وتنمي لديهم التفكير الإبداعي وحسن المبادرة. فحتى نحافظ على هذه اللبنات عند أطفالنا فعلينا جميعا:—

1- أن نحافظ على تقدير ذات عالٍ لدى الأبناء. فعلينا تقبل الأبناء دون نقد مباشر لعيوبهم أو التركيز على نقاط فشلهم في الحياة، وكما نتجنب معاقبتهم أو محاسبتهم أمام الآخرين فتكون المحاسبة والمعاقبة أكثر فاعلية إذا كانت سرية بين الوالدين والأبناء دون وجود الآخرين.

2- أن نزرع في أطفالنا بعض الميزات والأفكار الحسنة ويكون ذلك إما نظرياً أو عملياً. فيكون التعليم العملي بأن يسلك الآباء السلوك المرغوب فيه أمام الأبناء، مثلاً إذا أردت تعليم أبناءك قيمة الصدق فعليك ألاّ تكذب لا في حديثك ولا في سلوكك وكما يجب عليك عدم معاقبة الأبناء على صدقهم (وان كان في حديثهم الصادق خطأ

اقترفوه)، وإذا أردت تعليمه السلوكيات الصحيحة مثل إفشاء السلام فيجب عليك الالتزام بإفشاء السلام على الآخرين أمام أبنائك.

ويكون التعليم نظريا، بأن تحدث أبناءك عن سير الصالحين أو قصص الأنبياء التي فيها الدروس والعبر. ومن الأفضل توجيه انتباههم إلى الأحداث القيمة المراد غرسها عندهم مثل الصدق، وتبيان فوائد تلك القيمة كما ورد في القصة، وعليك مدح وتعظيم الشخص الذي يقوم بتلك القيمة (حسب ما ورد في القصد) حتى ينشأ لدى الأبناء رغبة بأن يحصلوا على ذلك المدح والتعظيم، فيصبح لديهم دافعيه لتعلم تلك القيمة.

3- زيادة ثقة الطفل في نفسه إما بإطلاق العبارات الإيجابية والتركيز على محاسن الأبناء وتجاهل مساوئهم (ليس تجاهلاً تاماً) أو إظهار التوقعات الإيجابية.

- إطلاق العبارات الإيجابية: ويتمثل ذلك بعدم السب أو الشتم، ومدح محاسن الأبناء وإظهار الحديث عنها بفخر والتركيز عليها مع تجاهل مساوئ الأبناء حتى لا تصبح تلك المساوىء سمة يتسم بها الأبناء.
- إظهار التوقعات الإيجابية لأعمال ومهمات الأبناء: فإذا كان أمام الأبناء مهمات مثل الامتحان وغيرها فعلى الآباء أن يُظهروا أنهم يتوقعوا للأبناء النجاح والتميز، وذلك يظهر من العبارات التي تنطلق أثناء الحديث مع الآخرين على مسامع الأبناء، ولكن لا تُطلب من الأبناء مباشرة حتى لا تحملهم فوق طاقتهم.

4- وحتى نقوي لدى الأبناء ملكة التعبير وحسن التواصل مع الآخرين فعلى الآباء تعليم الأبناء المهارات الاجتماعية اللازمة للحياة اليومية يتعلم الأبناء هذه المهارات بمشاهدة الآخرين عند قيامهم بالمهمات الاجتماعية فعلى الآباء مشاركة الأبناء في الذهاب إلى الحفلات الرسمية والمناسبات الاجتماعية وتوجيه انتباه الأبناء إلى سلوك الآخرين عند دخولهم إلى المجلس وعند خروجهم من المجلس ومهارة التحدث أمام الآخرين (ارتفاع وانخفاض الصوت، وتعبيرات الوجه، والنظر في عيون الآخرين، وحركات الأيدي).

5- المحافظة على الأبناء من التوتر الشديد، ويأتي ذلك التوتر الشديد من شدة العقاب وتذبذبه، والعقاب الشديد هو أن يوقع الأب أو الأم على الطفل عقاب الضرب أو الشتم الذي يقلل قيمة الطفل أمام نفسه، ولكن ما هو أفضل من ذلك هو العقاب الإيجابي وذلك بأن يحرم الأب أو الأم الطفل من رحلة أو زيارة للأقارب أو من اللعب أو من مشاهدة التلفاز نتيجة لخطأ أو ذنب اقترفه الطفل وسيكون العقاب الإيجابي أفضل في التأثير وتعديل السلوك على الأطفال من العقاب السلبي (تم استخدام مصطلح العقاب الإيجابي كما هو شائع).

- التذبذب في العقاب: ويتمثل ذلك بأن يُضرب الطفل كعقاب على مجموعة من الأخطاء، وليس على خطأ بعينه ويظهر ذلك عند الآباء الذين يذكرون الأخطاء السابقة للطفل عند إيقاع العقوبة عليه، فتجد أن والد يقول له عند ضربه فعلت كذا وكذا... مثل هذا السلوك

يوحـــي للطفل أن عقابه تم بناءً على مجموعة من الأخطاء التي ارتكبها، ويؤدي هذا السلوك الخاطئ إلى استمرار التوتر عند الأطفال، ويتضح هـــذا حين نتأمل طفلاً يقترف ذنباً أو ذنبين، يبدأ بعدها يحسب الطفل مـــتى سيكون العقاب، ويهتم بهذا الأمر ويراجع وينتظر متى سيوقع به العقـــاب، وحـــتى يستريح من ذلك التوتر والقلق الدائم والخوف من العقـــاب، يـــندفع الطفـــل ليقترف خطأ أو ذنباً ليحصل على العقاب السريع ويستريح من التفكير المستمر بموعد العقاب وكيفيته.

6- التخفيف من السلوك الفوضوي والتمرد عند الأطفال: لا غرابة حين نقـــول إن الأســـرة تكـــون في بعض الأحيان هي السبب الأول في الســـلوك الفوضـــوي عند الأبناء، فيعمل الوالدان على إهمال بعض الأبـــناء والاهـــتمام بالآخرين حتى بدون قصد، يؤدي هذا الإهمال بالأبناء المهملين إلى السلوك الفوضوي والتمرد كوسيلة للفت الانتباه إلـــيهم مـــن قبل الوالدين، مما يدعو هذا السلوك الفوضوي والديهم لعقابهم فيكون العقاب هنا وسيلة تعبر عن انتباه الوالدين لهم (فيصبح العقاب وسيلة يعبر بها الآباء عن انتباههم إلى أبنائهم) فيتعزز السلوك الفوضـــوي نتيجة العقاب ويزداد بدل أن يكبح. وحتى نتجنب هذه الوســـيلة يجـــب علينـــا العدل في معاملة وتوجيه الانتباه للأبناء عند التزامهم الهدوء وتقيدهم بالنظام المفروض عليهم من قبل الأسرة.

وهناك سبب آخر قد يكون الوالدان هم حجر الزاوية فيه، وهو توقعات الوالدين لسلوكيات الأطفال وذلك بإطلاق العبارات السلبية التي توحي بتوقع

الـــوالدين من الطفل أن يسلك سلوكاً فوضوياً؛ مما يؤدي بالأبناء أن يظهروا السـلوك المتوقع منهم (من قبل الوالدين). وهنالك أسباب أخرى يتم التعامل معهـا من قبل الأخصائي النفسي مثل زيادة الإفراز الهرموني وتشتيت الانتباه ... الخ.

7- وحـتى نقوي حسن المبادرة عند الأبناء علينا أولا أن ندرك أن لكل مـرحلة عمرية مشاكل تختص بها ولا يستهان بهذه المشاكل حتى لو كانت في نظر الراشدين إن هذه المشكلات غير جديرة بالاهتمام، لهذا تلقـى في كثير من الأحيان الإهمال من الوالدين مما يؤدي إلى تفاقمها عند الأطفال، إلى أن تصبح مشكلات سلوكية واجتماعية، لهذا فعلينا جميعا أن نأخـذ مشـكلات الأطفال بكل اهتمام مهما صغرت أو كبرت.

8- وحـتى نقوي القدرة على تقدير الأمور (الحكم على الأشياء) لدى الأبـناء أيضا علينا أن نستشير الطفل في الأمور العائلية سواء كانت عالية القيمة أم لا، وسواء تقيدنا برأيه أم لم نتقيد، وحتى لو لم يمتلك الطفل رأياً سديداً علينا أن نسمع منه، ونتعرف على كيفية نشأة هذا الـرأي عـنده وعلى طريقته في معالجة الأمور وعلى ماذا استند في حكمـه علـى الأمور. وعلينا توجيه انتباه الأبناء إلى أن يستندوا في تقديرهم للأمور على الدين وحكم الإسلام.

9- أن نقــوي لدى الأبناء ملكة الإبداع، وعلينا في هذه الزاوية أن نميز بــين السلوك الفوضوي واللعب: إن السلوك الفوضوي سيوضح في نصــوص لاحقــة، أما اللعب ضرورة ملحة لتنمية الفكر والإبداع للأطفــال فقد يترعج بعض الآباء والأمهات، لأن أحد أبنائهم يحاول أن يستكشف ما في داخل جهاز قديم مثل المذياع القديم أو أي جهاز آخــر قد أتلف أو أي شيء في المحيط أو يحاول الطفل تركيب جهاز مــثل هــذا الجهاز أو استخدام قطع من ذلك الجهاز للفائدة منه في أغــراض ومجالات أخرى؛ ففي مثل هذه الجوانب من الأفضل عدم ممانعــة الأبــناء حتى يتسنى لهم اكتشاف الطبيعة والبيئة المحيطة بهم ومحاولة إيجاد بعض الأفكار الإبداعية الجديدة التي لا نتوقعها منهم.

طرق لوقاية الأبناء من الانحراف

لــن نكون قادرين على سرد جميع البرامج العلاجية ولكن سنورد بعض العلاجات التي يمكنها تخفيف الاضطرابات السلوكية إن وجدت. والتي تفيد في تقليل بعض أنواع الاضطرابات المسلكية:

- **حرية الطفل:**

ويمكــن للوالدين توفير ذلك من خلال تكليف الطفل بمهام مثل الذهاب إلى الســوق وشراء بعض الملابس الخاصة به. فهذه المهمة تعطي الطفل حرية

التعبير عن الرأي ونوع من الاستقلالية في السلوك. كما يجب أن يؤخذ رأي الطفل في حل المشاكل التي تمر بها الأسرة، حتى لو لم ينفذ رأيه.

- **اللعب:**

إذ يوجد لدى الطفل رغبة في مخالفة القوانين والأنظمة في بعض الأحيان وعند بعض الأطفال يجب أن نحقق ذلك للطفل من خلال اللعب. لأن الكاتب يرى أن اللعب عبارة عن مشاكل ويبحث الطفل عن حلول لها(أي اللعب هو إيجاد التحدي والتغلب على هذا التحدي). فنلاحظ أن معظم الألعاب لها قوانين تحكمها. فرغبة المراهق أن يخالف القوانين والأنظمة تتحقق، عندما يخالف قوانين وأنظمة اللعب، يخدم اللعب كآلية تفريغ للتوتر وهذا قد ينمي حب المخالفة ومعارضة القانون، وحتى نحد من نماء وتطور حب مخالفة الأنظمة والقوانين يجب أن نراعي وجود عقوبة (داخل اللعبة) عند مخالفة قوانين وأنظمة اللعب وهي الخسارة في اللعب. وينبغي على المربي أن يوضح للطفل أن الخسارة تمت بسبب مخالفته للقوانين والأنظمة. حتى تنشأ قناعة عند الطفل أن مخالفة القوانين ينتج عنها الخسارة دوماً سواء أكان ذلك في اللعب أم في الحياة العملية.

الأسرة والطفولة

فعندما نتحدث عن الطفولة ومراحلها يجب علينا أن نميز بين الأسرة والطفولة. على الرغم من صعوبة التمييز بين مفهومي الأسرة والطفولة لأن ارتباطهما شديد. وحتى نفهم ذلك علينا أن نتمعن بما ينادي به الأستاذ فهد الفياض الذي يقول" فالأسرة لبنة المجتمع ونواتها، والمؤسسة الاجتماعية التي تنظم عملية التنشئة الاجتماعية للطفل في مراحل نموه المختلفة".

ويرى بارسونز أن الأسرة لا تزال تحتفظ بمكانتها بالنسبة إلى جميع أفرادها، إذ إن المجتمع يعتمد عليها في بناء اللبنات الأولى في شخصية الطفل (بشير وآخرون، **1980**). ولا يستطيع المولود البشري أن يعيش بعد مولده أكثر من ساعات قليلة دون مساعدة غيره، ومن ثم، فإن الميلاد البيولوجي للفرد لا يعتبر العامل الحاسم في وجوده واستمراره، حيث يتمثل هذا العامل في (الميلاد الثاني)، أي تكوّن الفرد كشخصية اجتماعية ثقافية تنتمي إلى مجتمع بعينه، وثقافة بذاتها (مرسي، **1994**).

علاقة الطفل بوالديه

تبدأ علاقة الطفل بأسرته من خلال الأم منذ مرحلة ما قبل الولادة، ويقول ابن قيم الجوزية "الجنين ببطن أمه متصلٌ بها اتصال الغرس في الأرض"

وهـــو ما أكدته الدراسات الحديثة (حجازي، **1997**). أما في مرحلة ما بعد الولادة، فتتدرج علاقة الطفل بالأم من الاعتمادية (**Dependency**)، من خـــلال إطعامـــه، والاهـــتمام بصحته ونظافته، وراحته في النوم واليقظة، إلى الاســـتقلالية المتمـــثلة في الاعتماد على الذات، وفي هذه الأثناء أيضاً يتحدد ارتـــباط الطفل بأبيه، فيما تتخذ علاقته بإخوته وأقاربه أنماطاً وأشكالاً متعددة (التويجري، **2001**).

تشكيل شخصية الطفل

وقـــد أجمعـــت الدراسات على ما للتنشئة في الأسرة من آثار عميقة في تشـــكيل شخصية الطفل، وبخاصة خلال مرحلة الطفولة المبكرة (أي السنوات الست الأولى) لأسباب عدة، أهمها:

- عدم خضوع الطفل في هذه المرحلة لسلطان أية جماعة غير أسرته.
- كـــون الطفـــل في هذه المرحلة سهل التشكل، وشديد القابلية للإيحاء والتعلم والامتصاص.
- حاجـــة الطفـــل الدائمـــة في هذه المرحلة إلى من يعوله ويرعاه ويؤمن احتياجاته العضوية والنفسية المختلفة.
- كـــون عملـــية التنشئة في هذه المرحلة مركزة ومستمرة (الجرداوي، **1980**).

وتتكون شخصية الفرد وطباعه خلال فترة السنة الأولى وحتى السنة الرابعة من العمر في نطاق الأسرة المحدودة، أي في مجال العلاقات بين الطفل ووالديه وأخوته وأقاربه، الذين يشاركون الأسرة معيشتها (مرسي، **1994**)، حيث تنقل الأسرة إلى الطفل أهم ملامح ثقافة المجتمع، بما فيها التقاليد والعادات والعرف الاجتماعي والمعايير والطقوس (ثابت، **1992**).

وتتم التنشئة الاجتماعية من خلال التعلم الاجتماعي (**Social Learning**) (التويجري، **2001**)، الذي يعتبر الأساس في اكتساب ما يتعلمه الصغار، من خلال الأدوار التي يقوم بها الآباء في عملية التنشئة الاجتماعية (منصور، **2000**).

دور الخادمات في البيوت

وفي السنوات العشرين الأخيرة دخل عضو غريب في الأسرة، وتحديداً في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال، ألا وهو الخادمات، اللواتي أصبحن، مع تزايد حدة هذه الظاهرة، عضواً أساسياً فيها (الأسرة) لا يمكن الاستغناء عنها، مع تنازل الأم عن الكثير من وظائفها التي أصبحت قاصرة على الإنجاب في أغلب الحالات، وهذا ما انعكس سلباً على تنشئة الطفل ونموه، وبخاصة نموه النفسي والانفعالي واللغوي والثقافي والديني، هذا بالإضافة إلى الآثار السلبية على الأسرة ككل وبالتالي على المجتمع بأسره. وهو ما أكدت عليه العديد من

الدراسات، منها الدراسة التي قام بها المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية في دول مجلس التعاون الخليجي عام **1989**م بعنوان "ظاهرة المربيات الأجنبيات: الأسباب والآثار"، ودراسة عبد الرؤوف الجرداوي في عام **1990** بعنوان "ظاهرة الخدم والمربيات وأبعادها الاجتماعية في الدول الخليجية".

ويتأثر النمو الاجتماعي للطفل بالأسرة، ويكون ذلك واضح المعالم في فترة الطفولة وما يليها من مراحل، وكذلك بنمط الأسرة التي ينشأ فيها، من حيث نوعها سواء ريفية أم حضرية، فقيرة أم غنية، متعلمة أم أمية (التويجري، **2001**)".

كما يجب علينا أن نميز بين الطفولة والأسرة يجب علينا أن نميز بين السلوك العدواني والجريمة والتمرد، والسلوك التوكيدي والاضطرابات السلوكية والانحراف لما لهذه المصطلحات من تداخل وعلاقة في انحراف الأطفال.

العدوان عند الأطفال

السلوك العدواني

يعــرف السلوك العدواني عند الأطفال أنه سلوك (السلوك له خصائص، لفظي معنوي ومادي ويتميز بشدة وموقف ومثيرات معززة ونية قاصدة) ينتج عــنه أذى شخصــي أو تدمير ممتلكات ويستخدم مصطلح العدوان ليشير إلى الســلوك الذي يمارس بقصد الإيذاء الموجه ضد فرد أو مجموعة من الأفراد أو ضد المجتمع المحيط.

ولا يحكــم علــى الطفل أنه عدواني أو ذو سلوك عدواني من مجرد أنه ارتكب سلوكاً عدوانياً واحداً بل إذا تكرر هذا السلوك إلى أن تصبح سمة من سمات شخصيته. يعالج بالسلوك العدواني جميع المواقف المحيطة به. أي نأخذ أنه مــن الطبيعي أن يصدر السلوك العدواني من طفل تعرض لظروف أو لمواقف أثــارت عــنده هذا السلوك، ولكن إذا ظهر هذا النوع من السلوك بشكل متكــرر ودون ظروف أو مثيرات تجر زناد استجابة العدوان، أي إذا واكبت العدوان ظروف معينة لا يعتبر سلوكاً عدوانياً إنما يعتبر رد فعل على اعتداء من الخــارج. أما إذا تكرر هذا السلوك دون ظروف معينة للعدوان إلى أن يصبح عادة سلوكية يمارسها الطفل عندها نحكم عليه أنه عدواني.

ونراعي أن الأطفال قد يصدر عنهم استجابة العدوان كرد فعل لضغوط البيئة والقيود الاجتماعية. يظهر العدوان على الصور التالية:

1. العدوان اللفظي.
2. العدوان الجسمي.

أ. إيذاء الذات. ب. إيذاء الآخرين.

الفشل والإصابة ينميان العدوان:

ذهــب بعــض العلمــاء إلى أن السلوك العدواني غريزي، وأنه استجابة لنشــاط هــرموني (عمليات كيميائية حيوية) أو أنه يعكس نشاطاً كهربياً في الجهــاز العصــبي (أي نشاط عصبي). بينما ذهب غيرهم إلى أنها طاقة نفسية كامــنة أمــا أن تــبرز وتظهر الأذى أو الضرر على الآخرين أو على النفس. وذهب غيرهم إلى أن السلوك العدواني يظهر نتيجة الإحباط (إعاقة نشاط فرد موجه نحو هدف معين) أي إن الإحباط يعمل في كثير من المواقف كمثير فاعل للســلوك العدواني لأنه يعتبر كرد فعل طبيعي للإحباط. بينما يؤيد آخرون أن السلوك العدواني يسير ضمن منظومة محددة وهي على النحو التالي:

تقليد العدوان عند الأطفال

يتعلم الطفل عن طريق التعلم بالمشاهدة وذلك من خلال مشاهدة السلوك العدواني في واقع مجتمعه (أسرته، مدرسته، رفاقه) كأن يرى والده يضرب اخوته أو أحد رفاقه يضرب آخر. ولا ننسى ما يشاهده الأطفال من جرائم وعدوان على شاشة التلفاز (سواء كان ذلك في التمثيل الطبيعي أو في أفلام الرسوم المتحركة – الكرتون–) وعلى جميع الأحوال حين يرى الطفل ممارسة السلوك العدواني ويلاحظ التعزيز (سواء كان التعزيز اللفظي أم التعزيز المادي– ويكون التعزيز هنا عندما تلبى احتياجات الطفل عبر ممارسته للعدوان فهذه التلبية تعتبر تعزيز– للعدوان) لصاحب هذا السلوك فإن احتمالية أن يقلد الطفل هذا السلوك تزيد. وقد لوحظ أن السلوك العدواني يظهر لدى الأطفال الذكور أكثر من الإناث.

عادة العدوان عند الأطفال

وبعد أن يشاهد الطفل العدوان لا يظهر هذا السلوك إلا عندما يحبط الطفل (من خلال المواقف والظروف المحيطة). فإذا لقي السلوك العدواني عند الطفل التعزيز من الوالدين (بأن يستجاب الوالدين له ولرغباته) فيعود هذا السلوك عند الطفل ويتكرر حتى يصبح سمة من سمات شخصية، وليس مجرد استجابة عابرة لموقف محدد تصبح سمة تعالج بها جميع المواقف.

دوافع العدوان عند الأطفال

بينما توسع غيرهم في تفسير أسباب العدوان. إلى أن هناك ثلاثة محاور رئيسية تتحكم بالسلوك:

أ. المنبهات أو المثيرات التي تسبق السلوك.

ب. النتيجة المترتبة على أداء السلوك.

ج. ما يدركه الأفراد ويفكرون به ويستخدمونه.

وتتضح هذه الخطوات عندما يواجه الطفل المثيرات المزعجة (الإحباط، والإساءة – الاعتداء أو التهديد البدني أو اللفظي أو السخرية والاستهزاء–) التي تجلب الألم والتوتر. تهيئ هذه المثيرات الاستثارة الانفعالية التي تبرر من خلال السلوك العدواني أو السلوك الاعتمادي أو السلوك الانسحابي. فعندما يسلك الطفل أحد السلوكات السابقة ويلقى نتيجة سارّة (التعزيز) – وتكون النتيجة السارة على شكل القبول الحسن من الآخرين له أو المدح والثناء أو تلبية الحاجات ومتطلباته الخ، يمكن أن يعود السلوك الذي لقي النتيجة الإيجابية من المحيط، وإذا أصدر الطفل وتكرر أكثر من مرة وعزز على ذلك يصبح هذا السلوك سمة من سمات شخصية ذلك الطفل؛ فيتعلم أن العدوان وسيلة للحصول على المتطلبات ووسيلة ناجحة لتلبية الحاجات فتتشكل لديه هذه الفكرة.

أنواع السلوك المنحرف الذي يرتكبه الأطفال

« التي تحمل في مضمونها العنف ويمكن أن تؤدي إلى الانحراف»

إن سلوك الأطفال داخل أسرهم يتشكل بنمط معين وهذا النمط يتكرر ويتمحور فيه جميع السلوكات الصادرة عن هذا الطفل. فنحكم على الطفل من خلال مجموعة من السلوكات وليس من خلال سلوك بعينه أي سلوك صدر لمرة واحدة، ومن السلوكات التي تصدر عن الأطفال أصحاب هذا الاضطراب:

1. المشاجرة الزائدة مع الآخرين.
2. التحرش والتحايل.
3. القساوة مع الناس والأشياء المحيطة به.
4. الهروب من المترل والمدرسة.
5. التحايل والكذب والمخادعة.
6. السرقة وتخريب الممتلكات.
7. العصيان الشديد والمستمر للسلطة (الوالدين أو المعلمين أو المربية).
8. السلوك المتحدي والمعادي.

طبيعة الأسر التي يُظهر أطفالها السلوك المنحرف

ومـــن الملفت للنظر أن هذا الاضطراب يظهر في بيئات اجتماعية تتميز بنمط معين من التعامل مع الأطفال. فأشارت بعض البحوث إلى أن الأسر التي تعامل أبناءها بشيء من العنف، أي تعاملهم بالضرب وفرض النظام والانضباط الـــذي يفوق حده الطبيعي. فهذه البيئة تبعث على الإحباط والإحباط يترجم (أي رد الفعـــل الإحباطي) إلى عدوان سلوكي أو لفظي عند الأطفال. وهذا العـــدوان يظهر في أشكال متعددة من السلوك، فقد يظهر هذا العدوان على شـــكل سرقة، فيعتبر الطفل أنه إذا سرق سوف ينتقم من هذا النظام المتسلط الـــذي يفرضـــه والديه، أو قد يهرب من المنزل حتى يتخلص من هذا النظام المتسلط ويقهره، أو يلجأ إلى سلوك آخر مثل شرب الكحول أو ما شابه ذلك. حتى يواجه الإحباط الذي لقيه بالتحدي والعنف وذلك نتيجة الرغبة التي تتولد لديـــه مخالفـــة النظام المتسلط. وقد يتطور هذا التحدي أكثر فأكثر حتى يصل الطفـــل بالنتـــيجة إلى الســـلوك المضـــاد والمعـــادي للمجتمع أو إلى الجنوح والانحراف.

أنواع السلوك المنحرف:

♦ أشكال السلوك المنحرف عند الأطفال داخل الأسرة:

ينحصر هذا النوع في الأسرة نتيجة اضطراب العلاقات بين الوالدين بعضهم بعضاً وبين الوالدين وأبنائهم. ويكثر ظهور هذا الاضطراب السلوكي عند الأسر التي يظهر فيها الطلاق أو زواج أحد الوالدين.

ويظهر هذا الاضطراب بالسلوكات التالية:

1. السرقة من المنزل.
2. تكسير اللعب والأدوات المنزلية (المناظر الزجاجية، أواني الطعام.....الخ).
3. الإضرام المتعمد للنيران أو تخريب الأثاث.
4. تخريب الممتلكات خاصة الثمينة.
5. ضرب اخوته الصغار والسرقة منهم.
6. لا يوجد عند هذه الفئة أية اضطرابات ذات مغزى خارج نطاق الأسرة.
7. علاقاته خارج نطاق الأسرة طبيعية.

♦ أشكال السلوك المنحرف عند الأطفال المنعزلين:

يظهر هذا النوع في المدرسة والمرافق للمساندة لها. ويظهر هذا الاضطراب على النحو التالي:

1. اضطراب في علاقات الطفل مع رفاقه. تجده كثير المشاحنات والتنافر.
2. يتسم هذا السلوك بالعدوانية للمجتمع.
3. اضطراب علاقات الطفل مع الكبار (العداوة والتنافر مع الكبار).
4. مشاعر النبذ من الأشخاص المحيطين به.
5. الانعزال وعدم القدرة على الاندماج.
6. الشعور بالذنب.
7. علاقة تنافر ومشاجرات ونزاع مع السلطة (الوالدين والأقارب والمعلمين والمربين)
8. الإساءة وانتهاك حقوق الآخرين والتهجم عليهم والتحرش بهم .
9. التكسير والتدمير والتخريب.

♦ أشكال السلوك المنحرف عند الأطفال مع رفاق السوء:

يظهر هذا الاضطراب على النحو التالي:

1. انضمام الطفل مع شلة من رفاق سوء يتميزون بالجنوح والانحراف، يتقاربون معه في العمر على الأغلب.

2. تجد له شعبية بين رفاقه.
3. يقوم بعدد من السلوكات ولا يجد تبريراً لها.
4. المشاجرة الزائدة مع الآخرين يقوم بهذا منفرداً أو في صحبة رفاقه.
5. التحرش والتحايل يقوم بهذا منفرداً أو في صحبة رفاقه.
6. القساوة مع الناس والأشياء المحيطة به.
7. الهروب من المترل والمدرسة يقوم بهذا منفرداً أو في صحبة رفاقه.
8. التحايل والكذب والمخادعة.
9. السرقة وتخريب الممتلكات يقوم بهذا منفرداً أو في صحبة رفاقه.
10. العصيان الشديد والمستمر للسلطة(الوالدين أو المعلمين أو المربية).
11. السلوك المتحدي والمعادي.

- **أشكال تحدي الأطفال لوالديهم:**

ينتشر هذا السلوك لدى الأطفال دون سن العاشرة، وتنطبق على هذا النوع من الاضطراب معظم اضطرابات المسلك التي وردت (ولكن لا تكون بنفس الشدة من الانتهاكات لحقوق الآخرين) بالإضافة إلى ما يلي:

1. يتفق مع المعايير السلوكية للأطفال في سنه.
2. يميل إلى التحدي ومعارضة قواعد الكبار بشدة وحرارة.

3. يسهل استثارته.
4. تكرار المخالفة والاستهزاء بالآخرين.
5. عدم احترام مشاعر الآخرين.
6. مقاومة السلطة ومخالفة مطالب الكبار.
7. استخدام القسوة مع البشر والحيوانات.
8. عدم التعاون مع الآخرين.
9. لا يظهر السلوكات الأكثر انتهاكاً للقانون وحقوق الآخرين مثل: السرقة والقسوة والتحرش والتدمير.
10. ظهور الضجر والغضب.

كما يرى المؤلف أن الاضطرابات المسلكية يقع ضمنها إيذاء الذات والتمرد واضطراب ما بعد الصدمة ولكن سنشير هنا فقط إلى سلوك إيذاء الذات والتمرد.

دلالات ضرب الطفل لنفسه

(سلوك إيذاء الذات)

أن إيذاء الذات قد يبدأ بالظهور بأشكال بسيطة مثل إهمال الذات خاصة في تنظيف الجسم أو ترتيب الملابس وتنظيفها وتنتهي بالانتحار أو ضرب

النفس لدرجة الوصول إلى الشلل أو العجز الكلي، إن هذا السلوك يعتبر اضطراباً وهو نوع من أنواع الهروب أو نوع من أنواع العدوان الموجه نحو الذات، فقد حلل الدليل التشخيصي الإحصائي الرابع للاضطرابات النفسية (DSM٤) لرابطة الأمريكيين للطب النفسي والتصنيف الدولي العاشر هذا الاضطراب الذي يتسم بأفعال حركية إرادية تتكرر تحت منظومة أو نمط معين (نقلا عن الرشيدي صفحة 262)، حيث تتدرج الأفعال الحركية المميزة لهذا الاضطراب في فئتين:

1- أفعال حركية لا يتسبب عنها أذى أو ضرر واضح أو مباشر وتشمل: هز الجسم، وهز الرأس وشد الشعر، وثني الشعر وعادات طرقعة الأصابع، والنقر بالإصبع، وخبط اليد.

(ويلاحظ أن قضم الأظافر ومص الإصبع ووضع الإصبع في الأنف لا ينبغي تضمينها في هذا التشخيص لأنها لا تمثل مؤشرات نفسية مرضية مناسبة).

2- السلوك النمطي الموجه إلى الإيذاء الذاتي، ويشمل تكرار خبط الرأس، ولطم أو صفع الوجه، ونخس العين، وعض اليدين أو الشفتين أو غير ذلك من أجزاء الجسم. وغالبا ما يكون معظم الاضطراب الحركي النمطي مرتبطاً بالتأخر العقلي، وحينما تكون الحالة هكذا، فإنه يمكن وضع كلا التشخيصين.

الضرب البليغ للجسم عند الأطفال

كما أورد الرشيدي أيضاً عن هذه الأنماط أيضاً يقول: « فقد يلجأ الأطفال إلى صفع أنفسهم أو إلى ضرب أنفسهم بقبضة أيديهم، وقد يخبطون رأسهم في الحائط أو الأرض أو قطع الأثاث، وقد يعضون أنفسهم، أو أصابعهم، أو ظهر اليدين، أو الذراعين، أو الكتفين، وقد يشدون شعورهم أو يقتلعونها، وقد يشدون أيضاً رموش العين، وجفونها، وشعر العانة وقد يخدشون أنفسهم بأظافر أصابعهم أو بأشياء حادة، وقد يغرزون أشياء حادة كدبوس أو مسمار أو إبرة داخل جلدهم أو مفاصلهم أو حتى داخل العين أو الأذن، وقد يجرحون أنفسهم بأشياء حادة مثل السكاكين أو شفرات الحلاقة، وقد يحرقون أنفسهم بالسجائر، أو قد يبتلعون مواد سامة من كل الأنواع، وهكذا تتباين شدة أنماط سلوك إيذاء الذات.

(فالإصابة الجسمية الناجمة عن ذلك السلوك تتفاوت في درجة شدها. فبعض الأفراد قد يبدون حرصاً وبالتالي لا تحدث إلا إصابات قليلة فقط مع عواقب مستديمة قليلة.إلا أن هناك أفراداً آخرين يحدثون في أنفسهم إصابات مستديمة وجسمية كالعمى، أو فقدان الأطراف، أو النزيف الشديد، أو الارتجاف المخفي، الخ. وهؤلاء الأفراد غالبا ما يجري إخضاعهم للتقييد جسمياً – على سبيل المثال، ربطهم بالسرير – خشية أن يتسببوا في المزيد من الإصابة

لأنفسهم أو في قتل أنفسهم. ويلاحظ انه حالما تفك قيودهم، فإن سلوك إيذاء الذات يبدأ عندهم...).

وكذا يتميز سلوك إيذاء الذات في حالاته المرضية المنحرفة بمعدله وشدته واستمراره. فهذا السلوك المنحرف يحدث بشكل متكرر، وبدرجة من الشدة والاستمرارية لا يستطيع معها الطفل أن ينمي علاقات اجتماعية سوية ويكون في خطر من أن يصبح- ومن صنع ذاته- مقعداً أو مشلولاً ».

أسباب ضرب الطفل لنفسه

إن البعض ذهب إلى أن إيذاء الذات ناتج عن أسباب بيولوجية مثل خلل في الجهاز العصبي المركزي أو خلل هرموني في المواد البيولوجية اللازمة للتوظيف الدماغي العادي أو عدم الحساسية للألم أو قدرة الجسم على إفراز مواد مسكنة للألم أو الإصابة ولم يحدد سبباً شافياً يمتلك القدرة على تحديد المسبب الرئيس.

بينما ذهب آخرون إلى أن الطفل قد يقع في ضيق نفسي شديد ليس لديه القدرة أو الرغبة في بعض الأحيان لمقاومة هذا الضغط الجديد وبنفس الوقت غير قادر على الهروب من هذا. ونتيجة لهذا الضيق يشعر الفرد بذنب عظيم لعدم قدرته على مواجهة الضغوط المحيطة به أو بأسرته ويسعى ليعاقب نفسه على لك « ما قدّمَتْ نفسُه من ذنب » فيضرب نفسه.

ويفســـر آخرون أن إيذاء الذات نتيجة الحرمان العاطفي الذي يحرم منه العديـــد من الأطفال فيرون أن الحرمان الذي يقع فيه الطفل يدفعه إلى تفسير ذلـــك وتأويله ضمن منظومة. فالطفل يفسر هذا الحرمات أنه نتيجة لما يقع فيه من عيوب وأخطاء يعتبر نفسه المسؤول عنها فيلوم ذاته عليها وعلى تقصيرها، فيزداد هذا اللوم إلى أن يبرر على شكل سلوك عدواني موجه نحو الذات.

دور النظام في تعليم الطفل سلوك إيذاء النفس

وذهب آخرون إلى أن سبب إيذاء الذات هو ما يلقاه سلوك إيذاء الذات مـــن تعزيز وانتباه واهتمام من قبل محيط (الوالدين) مصاحب لذلك السلوك، وهـــذا الانتـــباه والتعزيـــز لم يجده نتيجة سلوكه السوي. وهذا يلاحظ عند الأحداث حيث يلجأون لهذا الأسلوب حتى يتخلصوا من ضرب الشرطة لهم. فعـــدم ضرب الشرطة للحدث هو أمر مرغوب يسعى له الحدث بشتى الطرق حـــتى ولو آذى نفسه. فسلوك إيذاء الذات (إيذاء الحدث لنفسه) لقي نتيجة مرغوبة وهي رفع الشرطة العقاب عنه، لذا يتكرر هذا السلوك لأنه لقي نتيجة مرغوبة.

أثر رفاق السوء في إيذاء النفس

وعـــلاوة علـــى مـــا ورد يرى الكاتب أن المفاهيم التي يحملها الأطفال المنحرفين (الأحداث) هي مسبب فعال لذلك السلوك، فما يدور بين الأحداث الـــذين لهم باع طويل في الانحراف من فكرة في أنهم يعطون المكانة الاجتماعية

المـــرموقة بالفخـــر والعلو كلما ازدادت ضربات الحدث في جسمه. والبعض يدعي أنه آذى نفسه حتى تزداد قيمته الاجتماعية.

ويـــرى أيضاً أن الحدث قد يسعى بإيذائه لذاته إلى إظهار قوته أمام رفاقه المنحرفين وأنه ذو جبروت عالٍ لا يهاب الآخرين. ويزداد تفاخراً أنه قد يعذب نفســـه ولو أدى به ذلك إلى كذا وكذا. وكلما ازداد الأذى في جسمه ازداد مفاخرة بذلك.

دلالات إيذاء النفس

نقلا عن الرشيدي صفحة 271 (المحكات التشخيصية لإيذاء الذات):

أ. ســـلوك حركـــي متكرر، ومدفوع أو إكراهي بشكل ظاهر، وغير وظيفـــي (مـــثل تلـــويح الـــيدين وتموج (تلوي) الجسم، والاهتزاز والتمايل، وخبط الرأس، وعض الجسم، وإحداث خدوش أو ثقوب في الجلد أو الجسم، وضرب الجسم).

ب. إن هـــذا السلوك يعطل الأنشطة العادية أو يعوقها بشكل ملحوظ أو ينتج عنه إيذاء للذات بإصابات جسمية تتطلب علاجاً طبياً (أو تنتج عنه تلك الإصابات إذا لم تستخدم الإجراءات الوقائية).

ج. إذا وجـــدت حالة تأخر عقلي، فإن السلوك النمطي أو سلوك إيذاء الذات يكون بدرجة تكفي لأن يصبح موضوع اهتمام علاجي.

د. إن هـــذا الســـلوك لا يفضل إدراجه في تشخيص القُهَار أو الأفعال القســـرية (كمـــا هـــي الحال في اضطرابات الوسواس القهري)، أو

اللازمات العصبية (كما هي الحال في اضطراب اللازمات العصبية)، أو السلوك النمطي الذي يكون جزءا من الاضطراب الارتقائي الشامل، أو شد الشعر (كما هي الحال في هوس شد الشعر).

هـ. إن هذا السلوك لا يعزى إلى الآثار الفسيولوجية المباشرة لتُعطَي مواد أو عقاقير مخدرة أو لحالة طبية عامة.

و. إن هذا السلوك يستمر أربعة أسابيع أو أكثر.

المؤشرات: حَدِّد توصيفا ما إذا كان الاضطراب يحدث مع سلوك إيذاء الذات إذا كان السلوك ينتج عنه إصابات جسمية تتطلب علاجا نوعيا (أو ينتج عنه إصابات جسمية إذا لم تستخدم الإجراءات الوقائية).

الجرأة عند الأطفال

ويجب أن نميز بين مصطلح التمرد الذي تعرفنا عليه في الصفحات السابقة والسلوك التوكيدي. ويصح هذا حين نقول عن طفل إنه جريء وآخر يقول عن ذلك الطفل إنه غير مؤدب في كلامه. لأن الجرأة (السلوك التوكيدي) تعني ذلك السلوك الذي يسعى فيه الشخص بالمطالبة بحقوقه الشخصية والاجتماعية، كما يهدف بهذا السلوك التعبير عن المشاعر بطرق مباشرة وآمنة يحترم بها حقوق الآخرين ويقدر جهودهم. فتختلف نظرة الأفراد في المجتمع

الواحد إلى حقوق الآخرين، فعندما يطالب الفرد بحقه ويدرك من قبل المحيطين به أنه يطالب بحقه يعرف بإنه جريء، بينما إذا أدرك من حوله أنه يطالب فيما ليس له به حق فيطلق عليه أنه غير محافظ على حقوق الآخرين (وقح).

مثال على السلوك التوكيدي (الجرأة)، عندما يطلب طفل من والديه أن يستجيبا له بشكل مباشر وفوري على طلبه أو أنه يطلب من أسرته التعرف على أمور تحاول الأسرة إخفاءه عنه، في حقيقة الأمر ينظر البعض لهذا السلوك الصادر من الطفل أنه حق للطفل، لأنه يجب أن يعيش في محيط يدركه وحقٌّ له أيضاً أن يستجيب له والديه، والبعض الآخر يرى أن الطفل هذا تعدى حدوده التي سمح له بها، ولكن على الأغلب يتفق المجتمع على حقوق الأطفال والمراهقين ومالهم من حقوق وما عليهم من واجبات، فإذا تعدوا هذه الحدود لن يسمح بذلك، وإذا تقيدوا بها وطالبوا بحقوقهم يعزز من قبل الأسرة أو المعلمين أو الرفاق بالتجاوب للمطالب التي تعتبر حقوقاً لهم ولا تعتبر تعدياً عليهم. يُنصح الوالدان أن يشجعوا أبناءهم عليه ويدربوهم على السلوك التوكيدي لأنه يوجههم إلى المطالبة بحقوقهم ليس على المستوى الأسري فقط بل على مستوى المجتمع أيضاً.

التمرُّد

أسباب التمرد عند الأطفال على والديهم وعلاجه :

أن الكثير من الناس يعتقدون أن هذا الطفل ولد منحرفٌ، بل يجب علينا أن نعرف أن الطفل يولد صفحة بيضاء وما يظهر من سلوكاتنا معه هو ما كتبناه على هذه الصفحات. لهذا لا غرابة حين نقول إن الأهل في الأسرة يكونون في بعض الأحيان هم السبب الأول في تعليم الأطفال السلوك المتمرد، فالتمرد يأتي على أشكال متعددة، أولها السلوك الفوضوي أو رفض الأبناء لآراء والديهم أو التدخين أو الهروب من المترل.. الخ. ومن الخطأ ذهاب الأسرة إلى العقاب على التمرد بالضرب أو السب أو الشتم أو الاستهزاء بشخصية الأبناء، مما يدعو ذلك بعض الأطفال إلى زيادة التمرد وتفاقم الأمور حتى وصول الطفل إلى درجة الانحراف، فهذه بعض الأسباب التي قد تؤدي إلى الانحراف وما علينا إلا مراعاتها قبل أن ينحرف أبناؤنا، فكل طفل معرض للانحراف إذا توافرت الظروف الملائمة لذلك.

وقاية الأسرة من تمرد الأطفال

- **العقاب سبب التمرد**

إن إهمال الأسرة بعض الأبناء والاهتمام بآخرين (حتى ولو دون قصد)، يؤدي بهؤلاء الأبناء إلى التمرد كوسيلة للفت انتباه الأسرة إليهم، مما يدفع الأسرة لعقاب الطفل (بالضرب أو الشتم) على تمرده والسلوكيات المخالفة

التي ارتكبوها، فيكون العقاب هنا وسيلة لتعبر الأسرة بها عن انتباهها للطفل فيصبح العقاب محبوباً من الطفل (لأنه عبر عن انتباه والديه له). فعند عقاب الطفل يزداد السلوك المتمرد من قبل الطفل حتى يزداد انتباه الوالدين له (أي أصبح العقاب معززاً للسلوك الفوضوي أو المتمرد لأنه يعبر عن انتباه الأهل للطفل واهتمامهم فيه). حتى إن بعض الآباء لا ينتبهون إلى أبنائهم إلا إذا أظهروا السلوك المخالف أو المتمرد فقط وهذا يدعو الأطفال إلى زيادة السلوك المتمرد عندهم حتى يحافظوا على انتباه والديهم لهم. حتى إن بعض الأطفال يزداد التمرد عندهم حتى يصلوا إلى الانحراف أو الجنوح. وحتى نتجنب مخاطر هذا الجانب يجب علينا العدل في معاملة الأبناء وتوجيه الانتباه لهم باستمرار من خلال السؤال عنهم وعن مزاجهم اليومي وعن مشاكلهم، (النفسية والاجتماعية والتكيفية) كما يجب أن نمدحهم (نوجه انتباهنا لهم) عند التزامهم بالهدوء ومتطلبات الأسرة.

كلام الوالدين سبب لتمرد الطفل:

هناك سبب آخر للتمرد قد يكون الوالدان هم حجر الزاوية فيه، وهو توقعات الوالدين لسلوكيات الأطفال، وذلك بإطلاق العبارات السلبية التي توحي بتوقع الأسرة من الطفل أنه سيسلك سلوكاً متمرداً؛ مما يؤدي بالأبناء إلى أن يظهروا السلوك المتوقع منهم فمثلا تجد الوالد يقول للطفل لا تمشِ مع فلان فإنه سيء وتجد الأم أو أحد الأخوة بالمقابل (في نفس الموقف) يأتي ويقول

أنـــا عارف رايح تمشي معاه لكن والله رايح اكسر رجليك إذا مشيت معه، أو يقـــول إن فلاناً الذي تصاحبه هامل رايح يوم من الأيام يعلمك الدخان فتجد الطفـــل يسير حسب ما توقعت الأسرة منه فيمشي مع الذي قالوا له إنه سيء ويـــتعلم التدخين. ومن الأفضل أن نبين أن ثقتنا عالية بالطفل بأنه سوف يلتزم بما قلناه له. فيجب أن تقول الأم ابني وأنا عارفيته ما بيمشي مع الهمل بس هو ياريت يبعد عن فلان لأنه عنده مساوىء وابني لا يعرفها أو تقول عندما يقال إن فلانـــاً ســـوف يعلمه التدخين تقول إن ابني مستحيل أن يدخن فهو عاقل ورجـــل علـــى قـــد حاله ما بيسمح للهمل يأثروا عليه، وهو بعدين بيعرف مساوىء التدخين ومن ثم تعدد مساوئ التدخين.

ففـــي القول الثاني توقع إيجابي من الطفل، وهذا التوقع الإيجابي يدفعه نحو الالتزام والتقيد بما طلب منه والداه.

حصـــول الطفل على تعزيز لفظي عند إظهاره التمرد يقول الأب ولك صـــاير أزعر بدخّن، فكلمة " أزعر" جاء مفهومها غامض عند الطفل فيدرك معـــناها أنـــه شيء طيب، لذلك تصبح لديه رغبة بأن يقال عنه أنه " أزعر"، فيمارس التدخين حتى يحصل على هذه الكلمة. أو تعزيز النموذج المطروح أمام الطفـــل، فتجد الأم تقول أن ابن الجارة الفلانية أزعر يدخن ويمشي مع الهمل، فيصـــبح لـــدى الطفل رغبة بأن يقال عنه هذه الكلمة ورغبة بالحصول على الانتباه من الوالدين (من خلال حديثهم عنه في مجالسهم)، كما فاز ابن الجارة الذي يدخن (باهتمام والديه فيه، وحديثهم عنه في مجالسهم).

- **كيف يكون التقليد سبباً لتمرد الأطفال:**

يصبح لدى الطفل رغبة في تقليد الكبار في سن المراهقة في أمور مثل الاستقلالية بالرأي والخروج والدخول إلى البيت في أي وقت يريد. مما يؤدي إلى عقاب الوالدين له على ارتكابه سلوكات لا توافق سنه حسب رأيهم، مما يزيد ذلك العقاب من حب الطفل في تقليد الكبار، فيتشكل السلوك المتمرد حتى يصل الطفل في بعض الأحيان إلى حد الجنوح. ومن الأفضل في مثل هذه الأوضاع أن يوضح للطفل أنه في يوم من الأيام سوف تستقل في اتخاذك للقرار ويعطى الطفل بعض الحريات مثل اختيار ملابسه وحده وإرساله إلى السوق لشراء الخضار ومستلزمات البيت أو اتصاله مع أصدقائه في التلفون أو وضع الجوال (الخلوي) بجانبه، مما تزيد هذه السلوكات من نظرته لنفسه وتشبع رغبته في تقليد الراشدين.

وهنالك أسباب أخرى يتم التعامل معها من قبل الأخصائي النفسي أو الطبيب مثل زيادة الإفراز الهرموني وتشتت الانتباه ...الخ.

أشكال الجرائم التي يرتكبها الأطفال

إن الجريمة بدأت تأخذ هيكلاً وأشكالاً جديدة وصوراً تختلف عن السابق من حيث الكم والكيف فأخذ يستخدم فيها تقنيات التقدم الحديث. لذا أخذت أشكالاً ومظاهر جديدة. أما عن تفسير جنوح الأحداث اجتماعيا فهناك ما يدعى بالوسم أي الصورة التي يرسمها المجتمع عن هذا الشخص فإذا

رســـم المجتمع صورة لشخص ما بأنه جانح سيبقى جانحاً في نظر أفراد المجتمع حـــتى ولو عاد إلى السلوك السّوي. وسيبقى يعامله المحيط من حوله بناء على الصورة التي اتسم بها.

ويـــرى المؤلـــف انه لا يوجد طفل محصن من الانحراف فجميع الأطفال معرضـــون للانحـــراف إذا أتيحت الظروف المناسبة لهم. ذهب آخرون إلى أن الجـــناح محـــتوم وراثيا بينما ذهب علماء آخرون إلى أن السلوك الجانح غير معـــروف السبب. إن الجناح مفهوم سلوكي وقانوني فلا يكون المراهق حدثاً جانحاً رسميا إلا إذا تم التعامل معه من قبل المختصين (المسؤولين عن القانون أو النظام القضائي) وتشمل الجرائم التي يرتكبها الأحداث:

1. التشرد
2. السرقة
3. السطو والاعتداء
4. الإيذاء
5. الشروع بالقتل
6. القتل
7. السكر
8. شم المواد المخدرة
9. إضرام النيران
10. الاعتداء على أملاك الآخرين

11. السلوك الجنسي الجانح
12. كسر وخلع وتسلق
13. تسلل
14. قيادة سيارة بدون رخصة

أنواع الانحراف عند الأطفال:

النوع الأول: الانحراف مع رفاق السوء

ينتشر هذا النوع من الجناح في الأسر التي يقل فيها التمسك والتفاعل الاجتماعي كما يقل فيها الطاعة للسلطة الأسرية. ويتصف ببعض صفات الأنواع الأخرى من الجناح ويقوم بنفس الأعمال بينما يتميز عن الأنواع الأخرى بنزعته نحو السلوك المضاد للمجتمع وتعتبر جزءا من حياقم الاجتماعية داخل جماعة من الجانحين(رفاق السوء).

أي إنهم يمارسون السلوك المضاد للمجتمع تحت إشراف ورقابة المنحرفين الآخرين وفي هذا الوضع كأنه يعوض الحدث عن الولاء الذي فقده في أسرته بسلوكات عدوانية تحمل في طياقا الولاء للجماعة التي ينتمي لها.

النوع الثاني: الانحراف نتيجة قسوة الوالدين

يتصف الوالدان بالقساوة الاجتماعية والنفسية وعدم السعي نحو تلبية حاجات الأبناء وتتصف الأم في أغلب الأحيان عند هذه الفئة بالنبذ لأبنائها في السنوات الأولى من العمر، ويستمر هذا النبذ في الأعمار المتقدمة. وخاصة من قبل الأم، ويتصف أصحاب هذه الفئة من المنحرفين بنقص القدرة على الضبط الداخلي لاندفاعاتهم. وعدم توفر مشاعر الذنب خاصة عند الاعتداء على الآخرين.

النوع الثالث: الانحراف بسبب تشدد الوالدين

تتصف عائلات هذا النوع من الجانحين بالجمود والانضباط الاجتماعي الزائد؛ أي الكبح الزائد للرغبات والشهوات ولا يتقبلهم الوالدان إلا إذا التزموا بكبح رغباتهم. وتتصف هذه الفئة في طفولتها بالعصابية مثل الخجل والقلق الزائد وسوء التوافق الاجتماعي والفزع الليلي والهستيريا التحولية والأرق واضطرابات النوم الأخرى والعزلة والتشاؤم. وتتصف هذه الفئة خاصة عند الفئات الأكبر سنا بالاندفاعية وضعف التعبير عن المشاعر.

أسباب انحراف الأطفال

يركز معظم علماء النفس على أن الانحراف يرتكز على عمليات التنشئة الاجتماعية والتهيؤ النفسي لدى الطفل، وما يتعلمه ويلاقيه من مثيرات، مثل التعزيز والدعم الاجتماعي وما يشاهده من نماذج يقتدي بها، بالإضافة إلى التفكك الأسري في بعض الأحيان، والشعور بقلة الأمان أو انعدامه في أسرته أو في مجتمعه خلال مراحل النمو الأولى، فالبيئة الأسرية إذا كانت تميل إلى الانحلال، شب أطفالها ميالين إلى الانحراف أيضاً، فالطفل الذي يشب في بيئة منحرفة، يتبنى الانحراف ويرغب في تقليده ويتخذه مرشداً لسلوكه. ويبحث المنحرف عن الأقران الذين يفضل الانتماء لهم ليوفر لنفسه الحماية الزائفة، كذلك يتلمس من خلالهم الأمان والتقدير والاحترام والراحة.

ونشير هنا إلى أنه من الصعب أن نحتم أسباب السلوك المنحرف، لأن هناك عوامل عدة منها تحكم الوالدين المدرك والفقر والتفكك الأسري أو جماعة الأقران ودورهم.. الخ. ولكن هذه العوامل تكون مساعدة في تكوين سلوك الانحراف، ومؤثرة فيه: ويرى بعض علماء النفس أن العوامل النفسية والاجتماعية المهيئة تساعد في جنوح الأطفال، فمثلاً انتشار الإدمان في البيئة الاجتماعية، وعدم الاستقرار الأسري، لهما الدور الكبير في نشوء سلوك الانحراف، فضلاً عن عوامل تدني المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي

والتعليمي، وعدم توفر المسكن المناسب، وازدياد البطالة، والهجرة المستمرة للأسر، والتفكك الاجتماعي. فهذه كلها عوامل تزيد من احتمالية انحراف الأطفال.

العوامل التي تسهم في الانحراف:

إن هذه العوامل لا تعتبر أسباباً مباشرة إنما هي عوامل مهيئة للانحراف أي تلعب دورا بالغاً في إحداث الانحراف.

دور الجيران في انحراف الأبناء

البيئة الاجتماعية – الثقافية: يعتمد هذا العامل في تفسيره للانحراف على الطبقات الاجتماعية، فالمجتمعات الدنيا أو الثقافات الفقيرة لها تقاليدها وقيمها الخاصة بها كما أن لها اهتمامات من شأنها أن تنمي السلوك الجانح أكثر من غيرها، ويرى أصحاب هذه النظرة أن المجتمعات الفقيرة تملي على أطفالها الجنوح، ويذهب آخرون إلى أن هذا غير صحيح بل لأن الطبقات الفقيرة لا تشبع الرغبات والحاجات في ظل ظروفها المحددة. مما يدفع أطفال هذه الطبقات إلى استخدام سلوكات بديلة غير مشروعة لإشباع حاجاتهم ورغباتهم وتحقيق أهدافهم ومطالبهم.

- وقسم العماء التفكير الاجتماعي المنحرف إلى ثلاثة أنواع:

1. ثقافة الإجرام: ويتضح هذا عندما يتعلم الأطفال الجريمة من خلال النماذج (المحترفين الراشدين) التي يلاحظونها ومعايشتهم وممارستهم.
2. ثقافة الصراع: وتقوم هذه على الإساءة خاصة بالاعتداء الجسمي على الآخرين وعلى الأطفال لاكتساب مكانة لأنفسهم عند أبناء مجتمعهم.
3. ثقافة الجانحين المنتكسين على ذواهم: حيث يتصفون بعدم ارتكاب الجرائم بحق الآخرين ولا الاعتداء على الممتلكات إنما يرتد العدوان إلى الداخل ويعبر عنه بأشكال أخرى من خلال تناول الكحول والمخدرات أو استنشاق المواد المخدرة.

أيهما أكثر جناح المدن الصغيرة أم الكبيرة:

ومما دعا هؤلاء العلماء إلى التفكير بهذه الطريقة هو ما أشارت إليه بعض الدراسات من وجود ارتباط علاقة عكسية بين المستوى الاجتماعي والاقتصادي. أي كلما قل المستوى الاجتماعي والاقتصادي للطبقة الاجتماعية زادت نسبة انتشار الجريمة فيها. لأنه ترتبط المجتمعات الفقيرة بالحرمان الاجتماعي والثقافي والاقتصادي لكن هذه العلاقة اتضحت في الدراسات التي

أجـــريت بالمدن الكبيرة فقط، لأن الدراسات التي أجريت في المدن الصغيرة لم تؤيد تلك النتائج.

وأشـــارت دراســـات أخرى أنه لا يوجد فرق في نسبة الجناح عند جميع الطـــبقات الاجتماعية، وذهبت إلى التعبير عن جناح الطبقتين الوسطى والعليا بالجـــناح الخفي حيث يتم التعامل مع هذه المستويات بشكل أكثر سرية وأكثر تحرراً.

وأشارت دراسات أخرى إلى أن نشأة الطفل في مجتمع عالي الجناح ليس بالضـــرورة أن يصبح أطفال هذه المجتمع جميعهم من الجانحين. إلا إذا توفرت بعض الشروط التي تدفع عنهم الجناح مثل تقبل والديهم لهم، وتعامل والديهم يكـــون بدرجـــة بمناســـبة من الانضباط والحزم وليس النظام الصارم المتزمت وتجنبهم رفاق السوء.

دور الآباء في انحراف الأبناء

بينما يرى المؤلف إن الطبقة الاجتماعية والاقتصادية تلعب دوراً في نسبة الانحـــراف، وذلـــك مـــن خلال ما تتبناه هذه الطبقات من سلوكات وأفكار ومعتقدات. ويتضح هذا في السلوك اليومي للأسرة مثلا عندما يستخدم أعضاء الأســـرة حِرامات بعضهم البعض دون مراعاة التمييز بين حِرام كل شخص أو تخصيص حرام يخص فرداً بعينه في الأسرة لا يستخدم إلا من قبله. أواستخدام

البشـــكير الواحد من قبل جميع أفراد الأسرة. فنجد أن وضوح مفهوم الملكية لـــدى هذه الفئة يكون أقل من الأسرة التي تحدد لكل فرد ممتلكاته، هذا المثال علـــى الجانب السلوكي. أما على جانب المعتقدات مثل مفهوم الثأر، ومفهوم العنف فتجد بعض المجتمعات تحث أبناءها على العنف ومقابلة الإساءة بالإساءة دون اللجـــوء إلى القانون وهذا بدوره كفيل لإكساب الأعضاء خاصية معالجة الأمور بعدوانية. كما أن المجتمعات قد تخلط بين بعض المفاهيم فتجد البعض لا يميز بين العنف ومطالبة الحق (السلوك التوكيدي)، فهذا الخلط يدفع أبناء هذا المجـــتمع إلى اتخاذ النمط العدواني في طبيعة تعاملهم مع الآخرين مما يسهل هذا من القابلية للانحراف.

كما نعلم أن لكل طبقه اجتماعية ميزات خاصة وطبيعة تفكير خاصة بهذا المجـــتمع، فتجد أعضاءه يمتلكون سلوكات ومعتقدات خاصة بهم تميزهم عن الآخرين وأدركنا كيف يكون لهذا النمط التفكيري أثر في السلوك على أفكار أفراد هذا المجتمع.

دور التفكك الأسري في انحراف الأطفال :

أن التفكك الأسري الذي يحدث في المجتمعات ذات المستوى الاجتماعي والاقتصادي المتدني يؤدي في بعض الأحيان إلى انحراف أبناء تلك الأسر، وإن الـــتفكك ينتج عن الطلاق أو وفاة أحد الوالدين أو هجرته وقد توفر بعض الدلالات التي تشير إلى أن التفكك الأسري ينتج عنه التفكك النفسي ونقص الشعور بالأمن.

أرجو ألا يفهم في يوم من أن الأيام التفكك الأسري كان سببا بل عاملاً إذا توفــر وتــزامن مع وجوده عوامل أخرى أو ظروف مواتية للانحراف إن حدث ذلك.

مما يدل على ذلك أن الخلافات الأسرية الحادة أكثر ارتباطاً بالانحراف من مــوت أحد الوالدين، أي إن الطلاق ذو أهمية أعظم في أحداث الانحراف من موت أحد الوالدين لأن الطلاق يرافقه علاقة سيئة في الأسرة، ويتضح هذا في سلسلة تشخيص الاضطرابات النفسية صفة **68-69** حيث يقول " تبين نتائج الدراســات المسحية أن تأثير انفصال الوالدين عن الأبناء ليس واحداً في كل ظروف الانفصال فالجناح يرتبط أساسا بالانهيار في العلاقة الأسرية الذي يحدث بعد مرحلة من الخلافات الوالدية الحادة أكثر مما يرتبط بموت أحد الوالدين في حــد ذاته. كما أنه يقع بالنسبة للأسرة المتصدعة بسبب الطلاق أو الانفصال. إلا أن الخــلاف أو النزاع السابق على الانفصال كان المؤثر الأساسي لنشوء الأســرة الأكثر تصدعاً. وهكذا تفترض هذه النتائج أن الانفصال في حد ذاته ذو أهمية ضئيلة كسبب للجناح.

أثر التساهل في انحراف الأطفال :

ويــبرز الباحــثون فــيما يتعلق بتأثير البيئة الأسرية على عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال أن اختلال الانضباط والنظام في الأسرة يرتبط بالجناح عند الأطفــال والمــراهقين: فالتساهل في مواقف الضبط الوالدي لا يتعلم معهما الأطفــال قــواعد النظام والانضباط، إذ تواجه الحرية التي اعتادها الطفل في

أسرته بتحديات من ممثلي السلطة خارج الأسرة، الأمر الذي يجعله يترع إلى الاستجابة بتمرد واستياء وعداوة، وباحتجاج أو معارضة سافرة. كما أن التشدد والتقييد الزائدين مع استخدام العقاب البدني قد يكونان من بين أكثر العوامل أضراراً وتأثيراً في انحراف الصغار. ومع ذلك، يؤكد الباحثون بشكل أكثر أهمية على الخصائص الوجدانية للعلاقة بين الوالدين والأطفال. إذ يعتبرون النبذ الوالدي وسوء المعاملة تعميمات تقرها البيانات العلمية بشكل دقيق. فإخفاق الابن الجانح في أن يكسب رضا وعطف والده يبدو عاملا أساسيا في انحرافه، إذ يكون الآباء نابذين لأبنائهم ويستخدمون معهم العقاب البدني إلى الحد الذي يستثير في أبنائهم مشاعر القساوة والعداوة والسلوك العدواني المضاد للمجتمع كوسيلة للثأر والانتقام.

أثر الأسرة المتسلطة في انحراف الأطفال

ومن الصعب أن يكون هؤلاء الآباء النابذون أو المسيئون لمعاملة أبنائهم نماذج يقتديها أبناؤهم أو يتوحدون معها، ويعزى ذلك ليس فحسب إلى العلاقة السيئة مع أبنائهم ولكن أيضاً إلى أن هؤلاء الآباء غالبا ما يكونون سيئي الطباع. مدمنين. غير فعالين كنماذج للسلطة أو القيادة في الأسرة. وقد لاحظ بعض الباحثين في هذا الشأن أن قلة من الجانحين (اثنين من بين عشرة جانحين) قرروا أن آباءهم من ذلك النوع من الرجال الذين يرغبون في الاقتداء

بـــه. وذلـــك في مقابل أكثر من نصف غير الجانحين الذين يرون آباءهم نماذج إيجابية يتوحدون معها ويقتدون بها.

وتأخـــذ البحوث التي تدرس البيئة الأسرية كمتغير يرتبط بالجناح آفاقا أخرى تكشف عن العلاقة بين اضطراب الشخصية عند الوالدين والجناح عند أبنائهم. فهذه الاضطرابات قد تتداخل مع العلاقات الأسرية وتؤثر في أساليب الـــتعامل مع الأبناء بطرق متعددة. ويصاعد تزايد هذا التأثير خاصة في أوقات الضـــغوط الـــتي تمـــر بهـــا الأسرة، حيث يكون الوالدان – من الذهانيين أو العصابيين أو المدمنين أو المتأخرين عقليا أو المضطربين انفعاليا – غير متسقين، مهملـــين، ونابـــذين سواء في اتجاهاتهما أو سلوكهما نحو أبنائهما. وقد يشجع هـــؤلاء الآبـــاء لا شعوريا أنماطا من السلوك العدواني المضاد للمجتمع، وقد يخفقـــون في تزويد أبنائهم بالقواعد والمحاذير اللازمة التي تساعدهم على تمييز الأفعـــال المـــرغوبة عن غير المرغوبة، أو قد يصير هؤلاء الآباء أنفسهم نماذج للاستجابات المضادة للمجتمع.

ويقـــدم بعض الباحثين نموذجا يحدد العوامل المختلفة التي تربط بالسلوك المضـــاد للمجتمع عند الأطفال في فئتين هما: أساليب إدارة الأسرة (وتتمثل في مـــدى تطبـــيق الوالدين لقواعد السلوك والاستفادة منها والتفاعل في الأسرة وحل المشكلات وأداء الأدوار الأسرية)، أزمات الحياة في الأسرة (وتتمثل في

المـــرض والفقـــر أو الـــبطالة، والخلافات الزوجية أو الانفصال أو الطلاق أو التصدع الأسري، وانشغال الوالدين الزائد في العمل، والاضطرابات النفسية عند الوالدين، والإدمان).

وتأسيســـا علـــى نتائج البحوث التي تؤكد تأثير الوالدين على انحرافات الصغار، توصي بعض النظريات بمشروعات للتدخل العلاجي والتأهيلي لحالات الجناح عند الأطفال والمراهقين تنشد خفض السلوك الجانح عندهم عن طريق تغيير سلوك الوالدين".

أثر المدرسة في انحراف الأطفال

أن المدرســـة (المعلمـــين والطلبة وإدارة المدرسة) قد ترسم على الطالب الـــذي يـــتدنى تحصيله سمة الفشل، كما يضاف لدى المعلمين قناعه باستحالة الـــتقدم لهذا الطالب أو التغير من وضعه العلمي. فيوسم بالفشل وبهذا الوسم ســـوف تحـــدد طريقة تعامل المدرسة مع هذا الطالب ويعامل على أنه فاشل، ونتـــيجة لهذه المعاملة الدنيئة يبدأ الطالب بالتسرب من المدرسة حتى يتجنب الفشل المتوقع منه وتلك الوسمة الدنيئة التي يعامل على أساسها من قبل زملائه في الصـــف والمعلمـــين. وهـــذا التسرب يرافقه سلوكات تؤدي بالطفل إلى الانحراف.

دور العمر في انحراف الأطفال

إن علم النفس ينظر إلى الانحراف على انه اضطراب في الشخصية. ينشأ منذ الطفولة نتيجة الخبرات الممكنة في البيئة الاجتماعية المحيطة به. وكما يتأثر خاصة بالصدمات النفسية الذي ينتج عنها صراعات نفسية في اللاشعور. فنجد النفس تسعى لكبت العدوان من خلال الضمير (الأنا العالي) الذي يحاسب ويؤنب على كل السلوكات غير المقبولة اجتماعياً، مقابل أن اللهو يزيد تفريغ العدوان بصوره المتعددة فهذا ينتج عنه صراع بين إجراء النفس المختلفة لكن إذا غاب هذا الضمير أو ضعف أمام حاجات ورغبات النفس يحدث السلوك الانحرافي دون معاتبة النفس كمن يفعل الضمير (الأنا الأعلى) أو الشعور بالذنب.

بنية أجسام المنحرفين

ذهب بعض العلماء أمثال شيلدون إلى أن هناك علاقة بين حجم الجسم (البنية الجسمية العضلية والعظمية) وبين الانحراف ولكن لقي شيلدون المعارضة الكبيرة ورغم هذه المعارضة، فقد أيدت بعض الدراسات ما نادى به شيلدون ومنها:

(نقلا الرشيدي صفحة 72) " ففي بحث موسع على خمس مئة شخص من الجانحين وخمس مئة من غير الجانحين (تتراوح أعمارهم بين التاسعة والسابعة

عشرة وجرى التجانس بينهم من حيث الذكاء والمستوى الاجتماعي والاقتصادي)،تبين أن الأشخاص ذوي النمط الجسمي العضلي المتين (الميزومورفي)من الجانحين يبلغ معدلهم ثلاثة أضعاف الأشخاص ذوي النمط الجسمي من غير الجانحين (بنسبة **23.2%** إلى **7.1%**). وفي المقابل هذا النمط الجسمي وجد أن الأشخاص ذوي النمط الجسمي الطويل النحيف (الاكتومورفي) من مجموعة غير الجانحين يبلغ عشرة أمثال الأشخاص ذوي النمط النحيف الطويل من الجانحين (بنسبة **14.5%** إلى **1.8%**). كذلك توصل باحثون آخرون إلى النتائج نفسها تقريبا، على الرغم من أن هذه الدراسات استخدمت محكات وطرقا مختلفة في قياس النمط الجسمي. وعلاوة على ذلك، فإن الأشخاص من ذوي النمط الجسمي العضلي يصفون أنفسهم بأنهم عدوانيون، ونشيطون، ومغامرون، ومندفعون – وتلك هي الخصائص المزاجية التي وجد أنها ترتبط بالجناح.

وتذهب بعض الدراسات إلى أن الاختلال الكروموزمي يؤدي دورا كبيرا في السلوك الجانح، وأن هذا الاختلال الكروموزومي يتمثل في وجود كروموزم "**Y**" زائد، وهو ما يرتبط بتزايد احتمالات الاضطراب النفسي عند الذكور، وذلك رغم وجود اتفاق ضئيل بشأن النمط النوعي لاختلال الشخصية. وتشير بعض الدراسات إلى وجود اختلال في نشاط الدماغ يتمثل في وجود

مــوجات مخـــية غير عادية تتضح على جهاز رسام المخ EEG عند المراهقين الذين يبدون سلوكاً عدوانيا مضاداً للمجتمع".

الأسباب المادية لانحراف الأطفال :

هذه بعض العوامل التي وضعتها مدارس علم النفس. وأضاف المؤلف من خلال خبرته في دور الأحداث عدة عوامل:

- عوامل أسرية
- عوامل مادية
- عامل رفاق السّوء

أمـــا عن الأسباب المادية ما قد وضح في السابق من الحرمان المادي أي الفقــر والاجتماعي وقد علقنا على هذا السبب في العديد من المواضع في هذا الكـــتاب، كـــذلك دور الأسرة في انحراف الأطفال، وذكر هذا سابقاً ضمن العـــوامل النظـــرية سواء كان ذلك على صعيد التفكك الأسري أو الإهمال الأسري أو أساليب التربية الخاطئة. أما عن عامل رفاق السوء فيرى الكاتب أن رفـــاق الســـوء يؤثـــرون على بعضهم البعض بطرق متعددة (وهذا من خبرة الكاتب العملية).

تأثير رفاق السوء على الأطفال الأسوياء

نلاحظ أن الرفاق الذين يجتمعون في شلة واحدة تجمع بينهم أهداف ومبادئ يحتكمون لها ويسيرون ضمنها، وعلى كل من يتخلف عن هذه القيم والمبادئ المفروضة يطرد من هذه الشلة ولا يسمح له بممارسة نشاطاتها أو المشاركة في نشاطاتها. فتجد أن الشلة تنظم نفسها كالمؤسسات والجمعيات، فتجد منها الرئيس الذي يتوكل مهمة التفكير والتخطيط وعلى أعضاء الشلة أن يطيعوه، وتجد ما يدعى برجل المهمات الذي يتوكل بالقيام بالأعمال وتنفيذ المهمات.

الاندفاع نحو الشلة

أن الطفل الذي يرغب بالانضمام إلى رفيق أو شلة من الرفاق يجب عليه الخضوع لقيمة فكرية أو لبعض قيم الشلة حتى ولو بشكل ظاهري، فالمراهق حين يتعرف على صديق له سواء كان في المدرسة أو بالشارع أو بالحي، تجده في بداية الأمر يتفحص كل منهم الآخر ويرى الجوانب التي يتوافقون بها والجوانب التي يختلفون بها، فإذا تشابهوا في معظم الصفات الظاهرية. تستمر العلاقة وتتطور وإلا ينسحب كل منهم عن الآخر، فنجد في الشلة أن هناك شخصاً يتميز بامتلاكه للسلوك التوكيدي (توضيح هذا المصطلح في الصفحات الماضية) ويحاول أن يسعى لإخضاع الآخرين (سواء كانوا جماعة أو فرداً بعينه)

لقيمه ومبادئه التي يؤمن بها، وحتى يتمكن من إخضاع جميع أعضاء الشلة لقيمه وعاداتــه، نجده يعمل على التفحص فيه وفي مبادئه، بل ويذهب أبعد من ذلك بفــرض مــبادئه وقيمه وسلوكاته وأفكاره وقناعاته على المحيط من حوله من الــرفاق الجــدد الــذين يــرغب بالانضمام لهم مستخدماً الأساليب التالية: الاستدراج، والتقليد الأعمى، وكلام رفاق السوء، وسوء العلاقات العاطفية، والمشاكل الأسرية وعقاب الوالدين والخوف الشديد، وحبه الاستقلالية .

استدراج الأطفال الأبرياء حتى الانحراف:

هي عملية يقوم بها رفيق السوء لتعليم سلوك أو فكرة معينه لرفاقه بشكل مــتدرج وســلس وغير مباشر أو مفاجئ، مثل أن يقوم قائد شلة معينة بتعليم الــتدخين لأحد رفاقه، يكون على النحو التالي أن يقدم له السيجارة ويقول له تفضل فيرفض هذا المراهق في المرة الأولى، فيقول له كما تريد ويعيد هذه الكرة مرات عديدة، وإذا فشل، فإن الشلة تقول له جرب هذه السيجارة فقط، فإذا رفض يُلح عليه بالطلب أن يجرب حتى ولو نفساً بسيطاً وإذا رفض يبدأ يثني ويمــدح هذه السيجارة بأن لها ذوقاً جميلاً وإنها تنعش وتزيد من الحيوية، وإذا أصر هذا المراهق على رأيه يضرب له المثل عن فلان وفلان الذين يدخنون مثله حــتى يسهل الأمر على مسامعه، ويشير إلى التدخين أن شيء طبيعي حتى يرى المراهق أن التدخين أمر سهل وبسيط، ويبدأ بالتدخين.

الاستدراج نحو السرقة:

وإذا أراد أن يعلمه السرقة لا يأتيه بالتشجيع المباشر بل يتدرج في الحديث فيقول أنا عملت كذا وسرقت كذا، فإذا وجد القبول عند رفيقه استمر في استجراره حتى يجعل السرقة سهلة على مسامعه، وكأنها شيء عادي وإذا لم يجد القبول يبدأ بتبرير السرقة على أنها انتقام من الذي سرق منه وأن الذي سُرق منه يستحق ذلك لأنه قام بكذا وكذا، ويستمر في عرض القصص الحقيقية وغير الحقيقية على مسامع رفاقه ويذكر محاسن السرقة من حصوله على المال والطريقة التي أنفق المال بها والمتعة التي حصل عليها من ذلك المال.

ويذكر أنه بالإمكان أن يتاح لهم فرصة لسرقة مبالغ عظيمة حتى يحصلوا على متعة أكثر. وليت الأمر يتوقف على ذلك. يبدأ هذا القائد بطرح الأفكار بالسرقة فيقول لرفيقه ما رأيك أن نسرق ما في تلك الحديقة من أمتعة فإذا رفض، يبدأ بمعالجة ما يمنع رفيقه من ذلك وهو الخوف من إن يُكشفوا، فيقول إنها سرقة سهلة، المطلوب منك فقط الدخول معي لا تعمل شيئاً فإذا رفض يترك له مهمة المراقبة، وعلى جميع الأحوال عندما يدخل معه الحديقة يوجه رفيقه لسرقة البيت ويثيره هيا هيا لندخل ونأخذ الكثير فلا يعي على نفسه ذلك المراهق المسكين إلا حين يخرج من البيت أو يمسك متلبساً.

فإذا تتبعنا هذه الحوادث والطرق التي استخدمها المنحرفون في التأثير على الآخرين، فتجد فيها شيئاً من التدرج في طرح الأفكار والقيام بالسلوك ولم

يعـــرض الســـلوك مرة واحدة، بل تم تسهيل طريق الحصول عليه. ويتبع هذا الأســـلوب لأنه من خلال التدرج يتشكل لدى المراهق عن السلوك المنحرف صـــورة لها شيء من القبول والاستحسان، فتسهل هذه الصورة الحسنه على المراهق ارتكاب السلوك المنحرف.

دور التقليد الأعمى في انحراف الأطفال

(ينـــتج عـــنه التقليد الأعمى) يستخدم هذا الأسلوب المنحرفون الأكثر خبرة ووعياً. فتجد مثل هؤلاء المنحرفين يستخدم عبارات مدح وثناء ليرفع بها من قيمة الأفعال المنحرفة التي يرتكبها هو ورفاقه، فمثلا عند محاولة قائد الشلة تعليم أحد المراهقين التدخين ويمنع هذا المراهق عن التعلم فيقول له قائد الشلة أن خالـــد (زقرت) بمعنى بطل يدخن ويقوم بكذا وكذا (أفعال غير مشروعة). ويـــبدأ بعـــدها بمدح الأفعال غير المشروعة التي قام بها خالد مثل التدخين أو السلوكات المشبوهة. وإذا لم يستجب باسم (الذي يرغب في تعليمه الانحراف) يوجه قائد الشلة نظر باسم إلى وجود النقص أو العيب في شخصية أحمد (الذي لا يدخن) ويعتبر إن عدم التدخين نقص في الرجولة و يصور للمراهق أن حياته لا تكتمل إلا إذا تعلم التدخين، وإذا لم يستجب المراهق مع ذلك المنحرف يبدأ بالمقاومة العنيفة وإظهار الاستهزاء بالمبادئ التي يؤمن بها باسم كأن يقول: (شو خايـــف يضـــر التدخين بصحتك ولا خايف من والدك، والله خايف والدك

يضيعك على قدر ما بتسمع كلامه، ومن هذه العبارات إضافة لبعض الألفاظ السوقية التي لا ينبغي ذكرها) فهذا الكلام في حقيقته يوجه تفكير باسم إلى التفكير بأمور جديدة لم يكن قد سمع بها من قبل وتتحرك في قلبه الرغبة بالحصول على المديح والثناء الذي حصل عليه خالد ويتجنب الذم الذي وقع على أحمد. وعلى جميع الأحوال سواء اكتفى المنحرف في تعليم المراهقين الجدد الأسلوب الأول أم الثاني أم الثالث فهو يسعى لتغيير طبيعة التفكير في قيم الإنسان، فإذا كان لدى هذا المراهق قيمة أن الكرم والعون للآخرين هي الرجولة سوف يستبدل المنحرف هذه القيم العليا بقيم أخرى مثل السرقة أو التدخين.

وفي المثال يتضح المقال مثلا يقول (شوف خالد زقرت وبطل سرق بيت فلان في ليلة كذا دون أن يُكشف وقام بخلع الحديد دون أن يشعر به أحد آه شو معلِّم بيعرف يفتح القفل بدون مفتاح...) وهكذا يمدح كل سلوك يقوم به المنحرفون الآخرون، وتجده يفصل السلوكات الانحرافية بصورة طيبة، وكل مجتمع معين أو أصحاب انحراف معين يستخدمون مصطلحات خاصة للمديح والثناء. فالبعض منا يرى أنها مجرد كلمات تقال ولا نجد لها تأثيراً، ونحن نقول إنما هي مبادئ وواجبات يفرضها المنحرف (قائد الشلة) ويفرض احترامها وتقديرها على كل من ينضم له ويتقرب منه أو من شلته.

كلام رفاق السوء يؤدي إلى انحراف الأطفال

وغالبا ما يستخدم عند الفئة السابقة من المنحرفين، وهو أن يمدح رئيس الشلة أو أحد أعضائها المنحرفين السلوك المنحرف للمراهق الجديد (الذي قدم للانضمام للشلة) ويتبع هذا المديح بتعزيز مادي في أغلب الأحيان. ويتضح هذا في المثال التالي" تعرف خالد على أحد المنحرفين عندما كان يلعب في الحي الذي يعيش فيه مع والده وفي يوم من الأيام اقترح هذا المنحرف على خالد أن يلعبا في كرة اليد ولكن اللعبة ممتعة جداً إلى أن استمر خالد في اللعب وتأخر عن موعد الرجوع إلى منزله، والتأخير عن العودة للمنزل تنتج عنها العنف وعدم القبول الحسن عند والد خالد. مما دفع والد خالد إلى تحذير خالد بعدم تكرار مثل هذا التأخر مرة أخرى، وفي اليوم التالي أبلغ خالد صديقة المنحرف أن والده ينزعج لتأخره عن الوقت المعتاد به للرجوع إلى المنزل، فبدأ يحرض رفيق السوء خالد للتأخر وعناد الوالد، وعندما يرفض خالد التأخر عن الموعد المحدد عناداً بوالده بدأ هذا المنحرف يمدح خالد بعبارات سوقية كأن يقول له: " والله أثبت انك رجل. هو أبوك رايح يتزوجك بكفيه متسلط عليك بالبيت، بكرة لما تكبر رايح أبوك يظله متسلط عليك طول العمر، أنت بطل إذا بتوخذ حريتك مثلي أنا بخرج متى ما أريد وارجع متى ما أريد، وهكذا... مثل هذه العبارات السوقية والتي يتعذر على الكاتب ذكرها) ويبدأ قائد الشلة يعطي خالد الاهتمام الزائد ويمدح بعباراته الرنانة في أذن خالد. وبعد ما رجع خالد

إلى المترل حاول والده التنبيه عليه بشكل أقوى وفيه شيء من العنف، مما دفع خالد إلى التفكير بالمبادئ التي أعطاها إياه ذلك المنحرف، والتخلي عن المبادئ التي تعلمها من والده بسبب العنف الذي استخدمه والده معه وبسبب توفر مبادئ (عزت ومدحت) تخالفها فيتبنى أولا بأول المبادئ والقيم التي طرحت عليه من المنحرف، فيسعى في داخله إلى إرضاء هذا المنحرف، مما يدفعه إلى ارتكاب سلوكٍ مخالف لقيم والده ويجد المديح والثناء على هذا السلوك أكثر فأكثر حتى يرتكبَ سلوكاً أكثر انحرافاً كالسرقة أو السُّكر.

مما دفع خالداً إلى ارتكاب مخالفات أكثر فأكثر هو محاولة انتقامه من والده الذي عامله بعنف وشدة وانتقم منه بالطريقة التي تتوفر لديه وهي أن يتبنى أفكاراً وقيماً تنافي القيم التي تعلمها من والده وأن يرتكب سلوكات لا ترضيه وتزعجه. وهذا السلوك المخالف لقيم والده تم مدحها والترحيب بها من قبل قائد الشلة لذا يزيد احتمال أن يتكرر هذا السلوك ويزداد الانحراف في السلوك بحيث يسعى خالد إلى إرضاء قائد الشلة، وذلك من خلال تنفيذ ما يطلب منه من قبل الشلة.

ويتبع هذا كلما أظهر المراهق (الذي يرغب بالانضمام إلى الشلة) سلوكاً منافياً للعادات والقيم الاجتماعية التي تحث على الالتزام والهدوء والتقيد بالنظام.

دور العلاقات العاطفية في انحراف الأطفال

إن الــرفاق أو أية علاقة إنسانية تبنى على ما يدعى بالاستثمار العاطفي. فعــند الــزوجين تجــد أحداً منهما يقدم للآخر الدعم والمساندة سواء كانت اللفظــية أو العاطفية مثل أن يقدم الزوج لزوجته الغزل والاهتمام بالمقابل أن تقدم له الطعام والترتيب المترلي وهكذا... وهذا ينطبق على الرفاق فتجد أحداً مــنهم يقــدم للآخر المديح والثناء في المقابل يقدم الثاني الحماية والرعاية من الشلل الأخرى فكل واحد منهم يقدم شيئاً وحتى في بعض الأحيان يقدم أشياء ماديــة (أمــتعة أو مالاً) وليس عاطفية. نحن نحتكم في حياتنا مع الآخرين لهذه القاعــدة دون أن نشــعر ويتضح هذا بأن تقول امرأة لزوجها بعد كل هذه التضــحيات تعمل فيّ كذا وكذا، حتى تشعره أنها قدمت له دون أن يحفظ أو يــرد علــى مــا قدمته من دعم له، ففي حقيقة الأمر تذكره وتقول له أتقابل الإحسان بالتجاهل أو بالإساءة.

والأمــر مخــتلف بين رفاق السوء فما يقدمه بعضهم لبعض هو الطاعة العمياء والتقليد والامتثال للقيم و الحماية وإهداء المخدرات والمسكرات، فهذا وائل يشرب المسكرات مع صديقة مالك ودخل إلى شلتهم عنصر جديد فواز (قــد تشاجر مع أسرته) ودعاه (كل من مالك ووائل) إلى القيام بسرقة حديقة مترل فتجاوب معهما فواز، وبعد ذلك جالسهم وبدأ يسامرهم الحديث لفترة مــن الزمن فأيد فواز معظم أفكارهم لأنه كان مخاصماً لأسرته التي استخدمت

معـــه العنف (مع العلم أن مجرد تأييد فواز لكلام رفيقيه هو تعزيز لهما ويعتبر نـــوعاً مـــن أنـــواع التبادل العاطفي) وعندما دعواه إلى شرب المسكرات أبى ورفـــض ذلك وأصبح يقول أحدهم (والله إنك ما بتعجبني هليومين) أي كأنه يقول أصبحت هذه الأيام لا تتبع تعليماتي وقيمي، يهدف بذلك أن يسعى فواز بالقيام بأي سلوك أو الكلام بأي حديث حتى يرضيهما، ونتيجة للغموض الذي وقع فيه فواز والخوف من فقدان رفيقيه أصبح يسلك ليس فقط شرب الخمر بل أيضاً سلوكات منحرفة أخرى حتى يحافظ على علاقة طيبة معهم.

دور المشاكل الأسرية في انحراف الأطفال

إن المجـــتمع يفـــرض على أعضائه شروطاً (قيم عادات وتقاليد وقوانين وأنظمـــة) إذا انطبقت عليهم أصبحوا أسوياء وإذا خالفوها يوسمون بالشذوذ، وهـــذا ينطبق على أفراد أي مجموعة يجب عليهم التقيد بما تفرضه المجموعة من حقـــوق وواجـــبات والذي يتعدى حقوقه يلقى العقاب (حتى لو كان العقاب معنوياً – النبذ–).

ويتضح دور هذا العامل في الانحراف عندما ينضم عنصر(طفل أو مراهق) جديـــد إلى شـــلة قد يكون سبب انضمامه مشاكل أسرية أو فراغ (وقتي أو عاطفـــي....الخ) فهذا المراهق الجديد يندفع إلى الشلة حتى يتخلص من العديد مـــن المـــثيرات الســـيئة. ويتفاجأ أن الشلة تتحدث بصيغة معينة وأنها تسلك

مســـالك معينة لم يعتد عليها من قبل، ففي بداية الأمر يقاوم هذا التغير، بنفس الـــوقت لديه رغبة في الانضمام للشلة فيبدأ أعضاء الشلة إلى دعوته لممارسة سلوكات واتباع الخطوات السابقة. وإذا رفض قيمهم وأبى عنها يهدد بالنتيجة بالشكل الصريح بعدم الانضمام لهم. كأن يقول لهذا العنصر الجديد والله الذي لا يســـتطيع أن يسرق أو غير قادر على شرب الخمر لا يشرفنا الجلوس معه، ويندر التصريح للعناصر الجديدة لكن قد تأخذ شكلاً مبطناً فيقال له انظر إلى فلان طردناه من بيننا لأنه ليس برجل فهو لم يكن لديه الحرية على الذهاب معنا إلى ســـرقة المنزل الفلاني، وليس لديه الحرية في شرب الخمر لذا طرد من بيننا. (أو أن يسعى رفيق السوء إلى أن يعامل المراهق أسرته بشكل سيئ).

دور عقاب الوالدين في انحراف الأطفال

إن الإنسان يحكم سلوكه مع الآخرين بناء على طريقة معاملتهم له، فتجد أن مـــازن وعمر لا يتوافقان، لا لشيء إنما لأن عمر قام بتجاهل مازن بعد أن تعرف عليه لأول مرة، عندما كان يسوق السيارة (وسبب ذلك أن عمر يقود ســـيارة شـــقيقه لأول مره فيخاف أن يرتكب حادث سير فتجاهل كل ما هو حوله). ومنها بدأ مازن بتجاهل وجود عمر ويبادله عمر ذلك، مما فاقم الأمر إلى نشوء البغضاء بينهم، هذا مثال بسيط يوضح به الكاتب كيف إن العلاقات بـــين الناس قد تسيء إلى درجة الكره والبغضاء دون أسباب حقيقية أو لمجرد

سوء فهم. فعندما فسر مازن أن تجاهل عمر له كان نتيجة استهزاء وازدراء بدأ يعامله بناء على ما فسر ولم ينظر في أمر عمر ويرى سبب تجاهل عمر له، وهذا مثال يعمم على مواقف أخرى.

وينطبق ما سبق على العلاقات الأسرية فتجد أن رب الأسرة يرغب في أن يربي أبناءه ويلبي لهم رغباتهم مما يدعوه حبه وحرصه عليهم إلى مساءلتهم عند الخروج من البيت والعودة إليه والمحاسبة على كل صغيرة وكبيرة. مما يفسر أحد الأبناء أنها قسوة فيبدأ يعامل والده بناء على ذلك وبطريقة جامدة مما تدعو رب الأسرة إلى استخدام أساليب أعنف من السؤال (الإهانة وغيرها) فتبدأ العلاقة تسوء وتصبح أكثر حدة وقد تصل إلى النقاش الحاد أو المشاجرات التي يتولد عنها مشاعر الكره، كل ذلك بسبب التفسير الخاطئ من قبل المراهق، فلو تمعنا المثال السابق ورأينا كيف لو أن الأب أدرك الموقف ووضح لأبنائه أن سؤاله لهم هو خوف عليهم وليس حكماً صارماً عليهم أو انتهاكاً لحقوقهم، وتحدياً على استقلالهم.

ولا بد لسوء المعاملة من آثار سلبية على سلوك الأبناء وأفكارهم ومشاعرهم وخصائص شخصيتهم ومهاراتهم اليومية (الأدائية والتنظيمية). ويتضح دور الأسرة في دراسة قام بها المؤلف للتعرف على علاقة الحكم الوالدي المدرك بتنظيم الوقت سترد في صفحات لاحقة، ونرى كيف أن

التحكم الوالدي (ليس التحكم الحقيقي إنما التحكم الذي يدركه الأبناء فقط) يؤثر في تنظيم الوقت عند الأبناء.

كلام الوالدين اللاذع ينمي الانحراف عند الأطفال

إن الفرد منا حين يذهب إلى مناسبة الفرح يجب عليه أن يلتزم بما رسمه له المجتمع المحيط من عادات (توقعات اجتماعية – يتوقع المجتمع للفرد أن يسير في المناسـبات ضـمن مـنظومة معينة، وتجده يمتثل لذلك وينفذ ما يتوقعه منه المجتمع–) ويتضح ذلك حين نمعن النظر في حياتنا فتجد الموظف في عمله يسير حسـب ما يتوقع منه المجتمع من طاعة أوامر مديره وتنفيذها ولكنه حين يعود إلى البيت يلعب دوراً آخر، وهو رب الأسرة فهو يعطي الأوامر لتنفذ من قبل أعضـاء أسرته، في حقيقة الأمر يسير هذا الموظف حسب السلوك الذي يتوقع منه إذا توقع منه الطاعة أطاع وإذا توقع منه إعطاء الأوامر فعل ذلك.

إن الآباء والأمهات يسعون في أغلب الأحيان إلى التضحية في سبيل راحة أبنائهم ويدفع هذا السلوك المشرف – الذي يتضمن تأمين احتياجات الأطفال ومحاولة توفير أكبر قدر ممكن من الراحة لهم وتأمين مستقبلهم– مشاعر الحب عند الوالدين اتجاه أبنائهم. ويا للأسف إن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى الضد، وفي المثال يتضح المقال فلو تمعنا الطلبة في المدارس تجد والديهم يسعون إلى أن يجعلـوا أبناءهم أفضل الطلبة وأكثرهم تفوقاً وهذا نتيجة الحب الشديد

لهـــم، وهـــذا السعي قد يظهر من خلال إعطاء الطالب الدروس الخصوصية وتـــوفير الـــوقت المناسب للدراسة وحثهم بطرق حضارية وغير حضارية على الدراسة، حتى أن بعض الآباء يعلم أن ابنه من أفضل الطلبة ولكن لا يملأ هذا الطالـــب كل وقته في الدراسة، فتتولد رغبة لدى الوالد الذي يعتبر أن ابنه من أفضل المتفوقين أن يبقى على هذا الحال، لذا كما قلنا يوفر له الوقت المناسب (يكـــون مناســـباً مـــن وجهة نظر الوالدين) ويحث ابنه على الدراسة في جميع الأوقـــات وهـــذا شيء يكون فيه بعض الملل على الطالب لذا يظهر الطفل في بعـــض الأحيان ضجره من ذلك ويحاول أن يوزع وقته كما يراه مناسبا وهنا يبدأ الوالدان اللذان يتوقعان أن يستمر الطالب بالدراسة طوال الوقت يبدآن بـــتهديده بالرســـوب آملين أن يدفعوه بذلك التهديد (يبرز هذا التهديد على شكل التوقع السيئ – كأن يقولوا له أنت سوف ترسب والله سوف لن تذوق طعـــم النجاح يا ساقط ويا فاشل –) إلى الدراسة والمثابرة. فالعبارات السابقة التي وسمت على هذا الطفل الرسوب سوف تدفعه إلى الرسوب لأنها توفر لديه قـــناعه أن والديه يقدران ذلك عليه، وهما أعلم منه فتقتل تلك العبارات أمل الـــنجاح عند الطالب فيترك الدراسة لأنه سوف يرسب، ويبدأ بالملل والقلق والضـــجر وتجـــد لـــدى الطالب رغبة في الدراسة لكنه يواجه أشياء تمنعه من الدراسة مثل التفكير الطويل (السرحان) والملل، فتجده يفكر في مستقبله الذي يخاف منه وإذا دعته نفسه للدراسة تجد أن كلام الوالدين يمنعه من ذلك بسبب

صورة الرسوب التي رسمت عليه وهذا يحدث بين الطلبة المتفوقين تحصيليا. وكم من طالب سمعنا أنه كان في أوج اندفاعه إلى الدراسة وفجأة انقلب رأساً على عقب وكم من طالب سمعنا كان من الطلبة الأكثر تحصيلاً في صفه وانقلب بعد ذلك إلى رسوب وضعف تحصيل.

وهـــذا ينطبق على الانحراف، مثلا أحد الآباءكان يحذر ابنه من مصاحبة رفـــيق سوء اسمه (عدنان) سمع عن سلوكه المنحرف. (في حقيقة الأمر لم يرافق جمال عدنان أبدا، ولم يسبق لهما أن ذهبا معا في أي نشاط أو مهمة، ولم يوجد بينهم أي انسجام فكري أو اجتماعي)

الوالد: ولدي يا جمال لا تمشِ مع عدنان.

جمال: أنه ابن صفي يا أبي.

الوالد: قلت لك لا تمشِ معه.

جمال: أمرك يا والدي.

الـــوالد: والله إذا علمت انك رافقته في يوم من الأيام لن يحدث لك خير.

(يقـــول هـــذا الكلام الوالد رغبة منه في التشديد على ابنه بعدم مرافقته لعدنان).

(جـــاءت والـــدة جمـــال لتؤيد كلام زوجها وقالت إن ابن فلان جارنا ســـيبلغني إذا رافقـــت عدنان والله سوف أوصي له أن يراقبك - آملة أن لا يـــرافق جمال عدنان وتقطع عليه سبيل ذلك-). ثم أعيد ذلك الحوار عليه في

العديد من المرات ونتيجة لما أظهره الوالدان من توقع في أن يرافق جمال عدنان فسوف ينصاع جمال مرغما إلى مرافقة عدنان حتى يكتشف ما في ذلك من سر وحتى يلبي توقعات والديه. ومنها تعلم من عدنان مبادئه وقيمه المنحرفة.

الآثار السلبية لرغبة الأطفال في اكتشاف الانحراف

مهما اجتهدت نظريات علم النفس على أن الإنسان يولد صفحة بيضاء إلا أنهـــا يجب أن تعترف إن للإنسان بعض الغرائز التي تولد فيه ولما للبيئة من مـــثيرات مـــتعددة تتحكم بنسبة ظهور هذه الغرائز ومدى ظهورها إلى الحيز الـــوجداني عند الفرد. إن الطفل حين يولد تظهر عليه علامات حب السيطرة علـــى الواقع المحيط وحتى يسيطر على ما يحيط به من مثيرات مختلفة يجب أن يستكشفها فتجد الطفل الوليد يحدق نظره في من حوله حتى يكتشف مكنونات المحـــيط مـــن حوله. وعندما يتقدم في العمر ويتمكن من تحريك يديه ومسك الأشـــياء. فتجده يحاول أن يفتح الأشياء المغلقة ولمس كل المثيرات المحيطة حتى يكتشف ماهيتها. وهذه الغريزة تظل مع الإنسان إلى أن يكبر ثم يهرم، فالبعض تـــتعاظم عندهم هذه الغريزة إلى أن يصبحوا مبدعين ومخترعين والأغلب منهم تقـــتل هذه الرغبة عندهم. فعندما يقال للقارئ الكريم من قبل صديقه تعال يا فـــلان حـــتى أقول لك هذا السر وعند حضورك إلى صديقك تجده يقول لك انتهى الأمر وليس لي بك حاجة. عندها تجد نفسك مندفعاً إلى معرفة هذا السر

وإذا أردت أن تتجاهل هذا الأمر تجد ما يدعوك من الداخل لمعرفة السر الذي لم يُـبح لك. وكما يتضح هذا عند الأطفال عندما يرى مذياعاً أو تلفازاً مغلقاً (وخاصة التالف منها) فتجد لديه الرغبة في معرفة الطريقة التي صمم بها هذا المذياع بحيث أصبح يصدر عنه الصوت، وهذه الرغبة الجامحة هي طريق للإبداع فإذا عززت فيحتمل أن يصبح الطفل من المخترعين أو المبدعين وإذا كبحت تقلل هذه الرغبة وتقل دافعيتها.

وهذا ما يحدث عند انحراف الأطفال ويتكون على النحو التالي إذا شاهد الطفل صديقاً له يدخن ويتمتع بهذا الدخان ويتلاعب بالدخان الذي يخرج من فيه، تجد أن الرغبة تتكون لدى الطفل في اكتشاف اللذة التي يحصل عليها صديقه واكتشاف سر التدخين، مما يدفعه إلى الخضوع لمثل هذه الممارسات. ونرى أيضاً الرغبة التي تتولد لدى الطفل في السرقة أو الإيذاء لما يجده الجانحون من متعة عند الجانحين في تلك الأعمال (في حقيقة الأمر في أغلب الأوقات لا يتمتع الجانح بهذا العمل، لكن يُظهر أمام الآخرين أنها أعمال تبعث على ما يدعى بالراحة النفسية والاطمئنان).

الخوف الشديد على الأبناء يسبب انحرافهم

إن الوالدين (الآباء والأمهات) تجدهم مندفعين نحو إبقاء أبنائهم على أفضل حال ويسعون إلى أن يضعوا على أبنائهم سياجاً خوفا عليهم من الانحراف ولكن للأسف هذا السياج قد يكون هو الدافع عند الأطفال إلى

الانحــراف، وهذا يتضح عند العرب في أمثالهم- إن كثرة الشد ترخي- فتجد أن الوالدين إذا رغبوا في المحافظة على أبنائهم من الانجراف مع فلان من الناس الــذي يعتبر أكبر المنحرفين، فتجدهم يتبعون أساليب للمحافظة على أبنائهم حــتى انهم يستخدمون الشدة والعنف معهم. والأبناء لا يفسرون هذه المعاملة الســيئة أنها حرص والديهم عليهم إنما يرون في تلك المعاملة أنها تجاهل من قبل والديهم لهم وحب السيطرة من قبل والديهم عليهم.

لكــن بالنتيجة يظهر سوء المعاملة من قبل الوالدين أو أحد منهما. وهذا يعــبر عن نبذهم لذلك الطفل وخاصة إذا استخدموا مع ذلك الطفل العقاب البدني فهذه العلاقة السيئة لا تسمح للطفل أن يقلد والديه أو الذي يسيء له مــن قبل المربين، بل يرد على تلك الإساءة بالنقمة على هذه السلطة ويحاول مخالفة تقاليدها وأفكارها ويتحدى هذه السلطة بالمخالفة التي يرتكبها للتقاليد، مــثلاً عــندما كان والد خالد يحذره من المشي مع صديقه ليث (الذي يمارس سلوكات منحرفة بعض الشيء)، ولكن زاد الأمر في تحذير خالد من قبل والده أكثر من مرة إلى أن أبدى والد خالد الشك في أن خالداً يمشي مع ليث، وبمجرد اعــتقاد والد خالد أن خالد قد جلس في جلسات ليث قام والد خالد بزجره وتعنيفه واستخدم في مرات أخرى العنف معه على الرغم من عدم وجود رغبة عــند خالد في مجالسة ليث مما دفع خالد إلى حبه في مخالفة مبادئ والده وقيمه وتحــدي والده في الجلوس والمشي مع ليث على الرغم أنه لا يألفه أصلاً، لكن رغبة منه في أن يخالف مبادئ والده الصارمة ومرة على مرة تبنى خالد مبادئ

ليث المنحرفة مما كان ذلك دعوة من قبل والد خالد إلى خالد للانحراف. وهذا ما نسمعه أن فلاناً هو شديد مع أبنائه لكن بالنتيجة انحرفوا.

حب الاستقلال عند المراهقين في انحرافهم:

يسعى الإنسان بطبيعته إلى الانفراد برأيه فتجد أن الدول دائما تسعى إلى الاستقلال فنحن نسمع أن الدولة الفلانية استقلت عسكرياً سنة كذا واستقلت سياسيا سنة كذا وأخير نقول استقلت استقلالاً تاماً سنة كذا فالاستقلالية تكون على مستوى المجتمع ومستوى الفرد أيضا فتجد أن الشاب يسعى إلى الاستقلال المادي عن والديه ومن ثم الاستقلال الاجتماعي ولا فرق في أن يستقل ماديا قبل الجانب الاجتماعي أو العكس، وهذا يلاحظ عند الأطفال فتجد الطفل يتشاجر مع أشقائه لأنهم اعتدوا على أغراضه التي يعتبرها تميزه عنهم، فتجد الطفل يسعى إلى الاستقلالية ماديا عن الأسرة فإذا لم يتوفر هذا الاستقلال بطرق مشروعة يسعى لها بطرق غير مشروعة، فإذا لم يأخذ الطفل مصروفه من والده يسعى إلى توفير ذلك بالسرقة أو السلب أو النصب والاحتيال وغيرها من الطرق غير المشروعة إذا أتيح له ذلك. وكذلك يسعى الطفل إلى الاستقلالية باتخاذ القرار، وإذا لم يتخذ قرارات مقبولة اجتماعيا وتلقى القبول والاهتمام من الوالدين. يسعى إلى اتخاذ قرارات غير مقبولة حتى تلقى الاهتمام من المجتمع والوالدين، فتجد أن الوالدين لا يسمحان له بالتعبير عن رأيه في مشكلة أو أي أمر وإذا بادر لذلك يلقى الاستهزاء والسخرية، فتجد أن الطفل يسعى إلى تبني آراء الآخرين ويدعي أنها أفكاره وقد يصادف

أن يتبنى الطفل آراء وأفكار المنحرفين التي يجد بها لوناً جديداً واهتماماً من قبل الأسرة (عندما يحذرونه أو ينهونه عن هذه الأعمال).

ولا يتوقف الأمر على الاستقلال الفكري والاستقلال المادي بل أيضاً الاستقلال النفسي وهو أن يعتمد الطفل على نفسه في بعض المواقف ولكن للأسف تجد بعض الآباء يسعى إلى دعم الأبناء دون حدود فلا يريد أن يتعرض الابن إلى صدمات مثل الرسوب في الامتحان في المدرسة فهذه صدمة يجب أن يستقل بها الطفل في مواجهتها دون الأسرة. أما عن الاستقلال الاجتماعي تجد لدى الطفل الرغبة في اختيار الأصدقاء والرفاق وإذا تم التهجم من قبل الوالدين على تلك الحرية يسعى بنفسه إلى اختيار أصدقاء له دون مراعاة مبادئهم ومشاعرهم وأفكارهم. ومما يساعد على تسهيل مهمة الانحراف من خلال حب الاستقلالية عند الأطفال هو تميز معظم المنحرفين بشهرة معينة أو اسم معين. فحين يعطى الطفل من قبل جماعة المنحرفين شهرة معينة تميزه عن الآخرين يفتخر بها وتعطيه نوعاً من الاستقلالية الشخصية ومن أسماء الشهرة (راعي الغابات – صياد الغزلان – الشيخ).

الإحباط عند الأبناء

وكما أشرنا سابقا لابد أن يستقل الطفل عن والديه ماديا وفكريا ونفسيا، فأما عن الاستقلال النفسي فيكمن في تعبير الطفل عن مشاعره ولما لهذا الأمر من أهمية نفسية نطلع إلى رأي الدكتور هشام أحمد رامي– استشاري

ومــدرس الطــب النفسي بكلية الطب جامعة عين شمس- عرَّف المشاعر بأنها عــبارة عن تغيرات فسيولوجية تحدث في الجسم، ولابد لها من الخروج، ومن التعبير عنها، وللأسف هناك من يقول: إن الشعوب الشرقية شعوب متوسطية وكثيرة المشاعر، وهذا غير حقيقي فالبشر جميعًا لديهم مشاعر، والأبحاث التي أجريت على المصريين والعرب أكدت أننا لا نعبر عن مشاعرنا وغير مسموح لــنا بالتعبير عن مشاعرنا سواء رجل أو امرأة ، لذلك فإن تعبير المرأة المصرية عن مشاعرها يأتي في صورة خاطئة مثل الصراخ والعويل والإغماء أوفي صورة أعــراض جسمانية، وإذا لم تخرج هذه المشاعر سوف يعاني الشخص من مرض نفســي نتيجة استعداده للمرض، وأشهر الأمراض التي تنشأ عن عدم القدرة على التعبير مرض الاكتئاب، ومرض القلق، وأمراض ارتفاع ضغط الدم، وفي أحد الأبحاث وجد أن من أسباب حدوث الإدمان عدم القدرة على التعبير عن المشاعر، ويشير الدكتور هشام: إلى أن التعبير عن المشاعر يأتي من خلال تغيير سياســة التعلــيم والتربية وتشجيع الأطفال منذ الصغر على التعبير عن ذاتهم كلامــيًا، وشرح ما بداخلهم من غضب، أو فرح، أو كره، أو حب، ويوضح الدكــتور هشام أن الزوج هو أقرب الأشخاص إلى الزوجة حيث تستطيع أن تعــبر عن مشاعرها معه دون خوف، ولكن الواقع عكس ذلك فهذا لا يحدث حيث إنه في مجتمعنا يتم التعبير عن المشاعر للأصدقاء والأخوة أكثر من الزوج، فلابــد للمــرأة أن تتحدث مع الوالدين أو الزوج بطريقة صحيحة وتعبر عن

مشاعرها دون خوف، ويؤكد الدكتور رامي: أنه لابد من النضج في التعبير عن المشـــاعر فالتعبير الناضج هو الإحساس بالمشاعر والتعبير عنها كلاميًا، وبأقل المؤثرات الجسدية، وإذا كان ذلك غير مسموح به يلجأ الفرد إلى التعبير بطرق مختلفة وغير صحيحة من وسائل التعبير. لكن الدكتور أحمد محمد كمال مطاوع – أســـتاذ الأوعـــية الدموية والقلب–: يرى أنه إذا كان كبت المشاعر مقترنًا بقناعة وإيمان فهو كفيل بالحفاظ على وحدة الأسرة، أما كبت المشاعر بصورة إجـــبارية وعـــن غير رضا فهو يحدث صراعاً نفسياً آخر، ويتولّد عنه نوع من زيـــادة ضربات القلب، وليس بالضرورة أن يكون كبت المشاعر تجاه الزوج فربما يكون اتجاه ابن، أو أخ متسلط. وعن وسائل التعبير يقول الدكتور أحمد: يمكـــن أن تكـــون على شكل النكتة أو تفويت الموقف، والتنفيس عما بداخل الإنســـان لـــيس بشكل كلمات فقط، ولكن يمكن أن يكون بشكل سلوك، ويمكـــن أن يكـــون الكبت للمشاعر عند الأم من خلال تقصيرها في واجبات الأمومة خاصة إذا كانت أماً عاملة.

فكـــبت المشـــاعر يحدث عندما لا يسمح للطفل بالتعبير عن استقلاليته، ورأينا لما للكبت من آثار سلبية على الصحة النفسية ليس فقط للطفل بل أيضاً للـــبالغ. فعندما يسمح للطفل بالتعبير عن المشاعر نحن في حقيقة الأمر نقدم له الدعم والمساندة النفسية. فيرى الكاتب ضرورة أن يتقبل الوالدان آراء أبنائهم حـــول القضـــايا المطروحة في الأسرة فإذا قرر الوالد ذهاب الأسرة إلى المكان

الفلاني وواحد من أعضاء الأسرة يعترض على هذا القرار فيجب أن يسمح له بهذا الموضع أن يعبر عن اعتراضه ويدلي بالأسباب المبررة لذلك (يسمح له أن يظهـــر اعتراضه، لكن لا يؤخذ برأيه في كل المواضع) حتى يتسنى له الشعور بالحرية وبالاستقلالية وأنه ذو مكانة عالية في الأسرة.

تمييز الطفل لممتلكاته

قـــد يقصـــر الآباء والأمهات في تعليم الأبناء بعض المفاهيم مثل مفهوم الملكية وهذا المفهوم يسعى إلى تعريف الطفل ما له وما عليه أي تعريفه بحقوقه وواجباته اتجاه المجتمع وهذا لا يكون بالطرق المباشرة. فيجب أن يعرف الطفل أن هذا القميص ملك له وهذا القميص ملك لوالده ليس لأنه لا يلائم حجمه بل لأنه ليس من ممتلكاته. وتأتي الأخطاء في بعض الممتلكات الأسرية فتجد أن الأســـرة توفر بعض الممتلكات التي تعتبر حقاً للجميع دون تمييز مثل البشكير (تنشيف الجسم) فتجد أن الطفل يفقد السيطرة في تحديد ما يجب عليه وما يحق لـــه وفي مالا يحق له. في بعض الأحيان حين يسمح له باستخدام بشكير والده ولكن لا يسمح له باستخدام ملابس والده أو حذائه فهذا اللبس يشوه مفهوم الملكـــية عند الأطفال. بينما هناك أسرة لا تنهى الطفل عن استخدام ممتلكات غيره مما يعيق ذلك على الطفل إدراك مفهوم الملكية. والذي ينطبق على مفهوم الملكية ينطبق على غيرها من المفاهيم مثل التأثر وغيرها.

الأسباب التي تدفع المنحرفين للتأثير على غيرهم

♦ أسباب مادية:

تجد أن المنحرف يسعى إلى تحقيق أهدافه مثل جلب المال وامتلاك الأشياء من خلال الآخرين الذين يحضرونها له دون أن يتحمل مخاطر السرقة أو السلب.

♦ حب السيطرة:

المنحرفون يسعون إلى التفاخر بأن لهم أتباعاً يسمعون كلامهم وينفذون أوامرهم، لأنهم ينافسون مع المنحرفين الآخرين الذين تجد لهم أتباعاً أكثر ويتشاجرون مع بعضهم البعض فصاحب الشلة وقائدها يسعى إلى إظهار قوة جماعته بامتلاك عدد أكبر من الرفاق ليتمكن من امتلاك قوة أكثر.

المراجع

1. محمد العكايلة، العلاقة بين نمط التنشئة الأسرية وجنوح الأحداث. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان – الأردن (1992).
2. إيناس مسمار أثر برنامج إرشادي جامعي في تنظيم الوقت على مهارة الوقت والتحصيل الدراسي لدى طالبات الصف الأول الثانوي في مديريات عمان الكبرى الثانية. رسالة ماجستير غير منشورة الجامعة الأردنية (1993).
3. عماد معايعة (1991) إدارة الوقت عمان – المكتبة الوطنية.
4. فهد عبد الله الربيعة (1997) الوحدة النفسية والمساندة الاجتماعية لدى عينة من طلاب وطالبات الجامعة دراسة ميدانية علم النفس.
5. إبراهيم عبد الستّار، العلاج السلوكي للطفل 1993.
6. كبت الأحاسيس داء نسائي أفرزته الأخطاء التربوية . 2003. مقالة نشرت عبر الإنترنت.
7. فهد الفياض، الطفولة . 2003. مقالة نشرت عبر الإنترنت.

إصدارات المؤلف

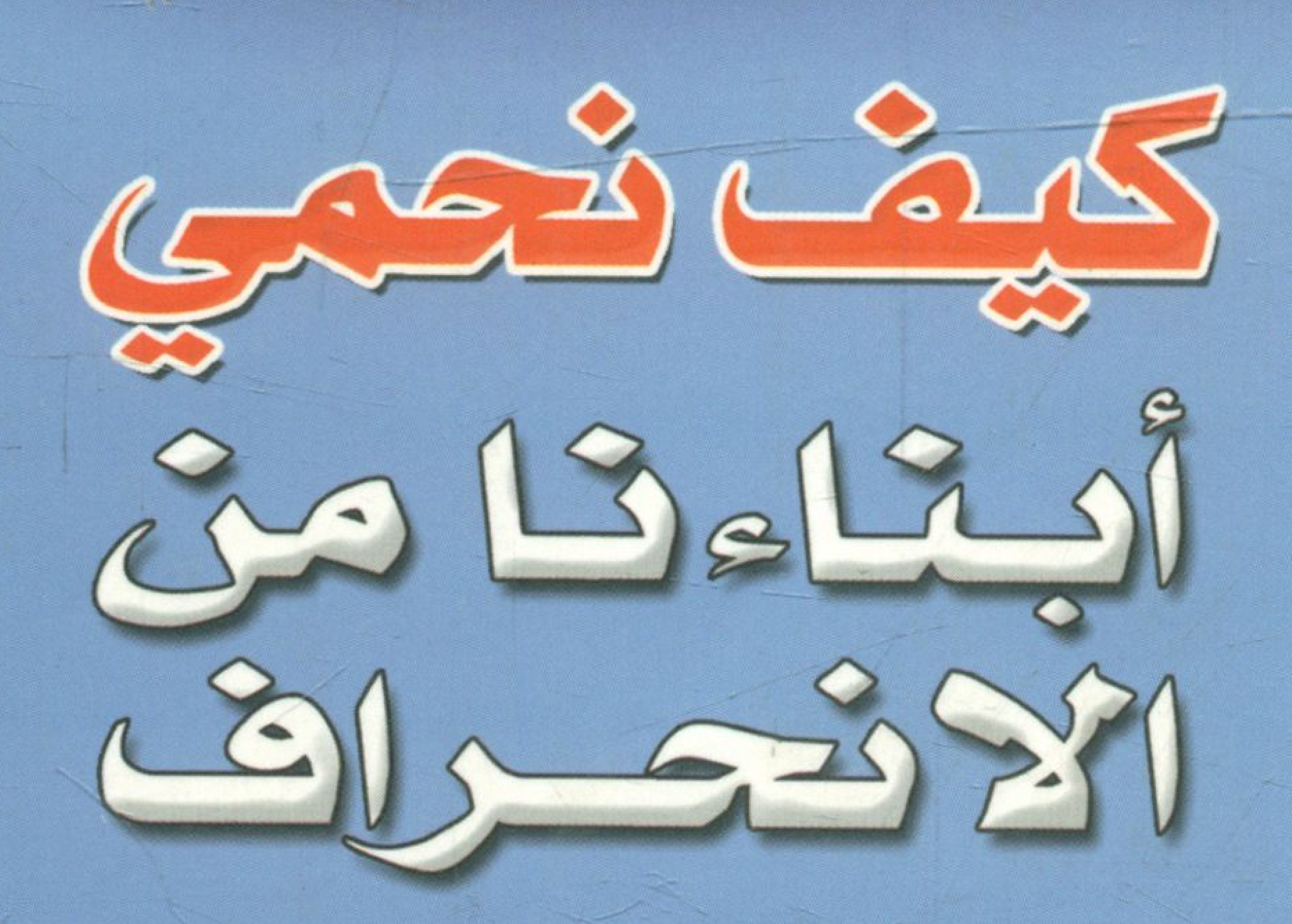
سلسلة الحب وعلم النفس

- كيف تتعرف على من يحبك
- مهارات تجلب محبة الآخرين
- مهارات لتقوية الحب داخل الأسرة

سلسلة الطفولة في علم النفس

- حماية الأبناء من الانحراف – مشكلات وحلول
- كيف تحلل شخصية أبنائك؟
- سبعة أساليب لتقوية الحفظ والذكاء عند الأطفال
- مشاكل طلبة الثانوية العامة وحلولها

فهرس الكتاب










www.alamthqafa.com
E-mail:info@alamthqafa.com